# الجزء الأول

## غزو القارة

- **تمهيد:**
- **الفصل الأول: الاندفاع نحو القارة.**
- **الفصل الثانى: مؤتمر برلين.**
- **الفصل الثالث: اقتسام الفطيرة الإفريقية.**
- **الفصل الرابع: الخلاصة خريطة إفريقيا الاستعمارية**




# تمهيد

يختزل تاريخ إفريقيا فى حادثين حددا مصيرها هما تجارة العبيد عبر الأطلنطى ومؤتمر برلين. الحدث الأول امتد أربعة قرون من القرن الخامس عشر إلى التاسع عشر. فيه فقدت إفريقيا ما يقرب من مئة مليون من أبنائها ، هذا العددالمهول من شبابها فقد ما بين عمليات الصيد أو الأسرأو فى أثناء الرحلة الطويلة عبر المحيطات على ظهر سفن العبيد من سواحل القارة الإفريقية إلى القارات الأمريكية وأوروبا ، وهناك سحقت آدميتهم واستُخدم الإفريقيون لا بوصفهم آدميين بل كقوة محركة كما تستخدم الجمال والخيل وغيرها من وسائل النقل والحرث ، وهذا أقسى وأبشع ما يستخدم فيه البشر لا من حيث الجهد العضلى فقط ولكن من حيث النظر إليه باعتباره خارج نطاق البشر. وقد ذكر «**كارل ماركس**»:«بغير العبودية ما كانت توجد الصناعة الحديثة ؛ فالعبودية هى ما أعطت المستعمرات قيمتها الحقيقية، والمستعمرات هى التى أوجدت التجارة العالمية والتجارة العالمية كانت شرطًا مسبقًا للتصنيع على نطاق واسع، ومن هنا تظهر الأهمية الكبرى للعبودية».

وفيما عدا اقتناص العبيد لم تظهر بوضوح دوافع قوية تحرك السياسة الأوروبية نحو امتلاك إفريقيا فى النصف الأول من القرن ١٩، لم تكن تبلورت وظهرت الدوافع الجامحة التى تدافعت فى النصف الثانى من القرن ١٩ وأدت إلى التكالب الاستعمارى على القارة، ففى مطلع القرن كان التدخل الأوروبى فى إفريقيا ينحصر فى المناطق الساحلية من القارة، ولم تكن الدول الأوروبية لها سيطرة إلاعلى أجزاء صغيرة من اطراف القارة، ولكن الدول الأوروبية سرعان ما انتقلت فى نهاية القرن من المرحلة الجزرية أو الساحلية إلى مرحلة التوغل داخل القارة ، ووصل الأمر فى نهاية القرن إلى درجة من النهم الإستعمارى الذى كاد يؤدى إلى الاصطدام الدموى بين الدول الأوروبية الكبرى المتنافسة.

وحتى بعد ما ظهر التكالب الدولى نحو إفريقيا لم تكن دوافع الاستعمار فى القارة تحددت.

كان بعضها دينيًا وبعضها اقتصاديًا أو أطماعًا شخصية أو ضرورة للهجرة الزائدة من سكانها. فمثلًا استيلاء فرنسا على الجزائر ١٨٣٠ لم يكن السبب المباشر اقتصاديًا بل استراتيجيًا ، فقد طمعت فرنسا فى الجزائر لأن سواحلها تجاور فرنسا، كما كانت مشكلة البحر المتوسط وتقسيم الإمبراطورية العثمانية هى ما حث فرنسا أن تتخذ عملًا إيجابيًا تقاوم به تدخل الإنجليز فى البحر المتوسط، وهناك سبب آخر يتعلق بفرنسا ذاتها حاولت به أن تثبت قوتها ونفوذها، فمنذ الحروب النابوليونية مرت فرنسا بفترة من الضعف كادت تفقدها مهابتها الدولية ، وكان الشعب فى حالة قلق وتذمر داخلى فاستخدمت احتلال الجزائر لتحويل نظر الشعب من الناحية الداخلية إلى ناحية خارجية حاولت به فرنسا أن تظهر أنها أفاقت من ضعفها وأصبحت تفكر من جديد تفكيرًا إمبراطوريًا.

وفى العشرين سنة الأخيرة من القرن ١٩ تجلت بوضوح سياسة الاستغلال الاقتصادى فى الاستعمار، فبعدما انتقلت مقاليد الامور فى الدول الصناعية إلى الرأسماليين وطبقات التجار وأصحاب المصانع تحول التوسع الاستعمارى إلى أغراض تجارية وصناعية ومالية وأصبح الغرض من الاستعمار صراحة غرضًا اقتصاديًا وهو الحصول على مستعمرات تكون اسواقًا لمنتجاتهم وحاصلاتهم واختفت حجة ضرورة المستعمرات لامتصاص الزائد من السكان فلم يكن فى الدول المستعمرة فائضًا سكانيًا.

الحدث الثانى هو مؤتمر برلين ١٨٨٤ـ١٨٨٥ الذى قسمت بمقتضاه القارة وقطعت شلوًاشلوًا، ورُسمت فيه الحدود على الورق وسرقت الأرض من أصحابها وضاع استقلالها وثرواتها الطبيعية واستعبد أهلها على أرضهم. ويعد القرن ١٩ «قرن الرعب الإفريقى»، تمت فيه كل هذه الاحداث الجسام، فى بدايته لم يكن هناك شبر محتل فى إفريقيا وفى نهايته لم يعد فيها شبر مستقل باستثناء ليبيريا والحبشة (أثيوبيا).

بدأت اقدام الاوروبيين تطأ أرض أفريقا فى القرن ١٥ عندما ابحر البرتغاليون إلى سواحل غرب افريقيا عام ١٤٤٤ واسسوا بعض الحصون على السواحل مثل حصن سان چورچ والمينا فى غانا. وفى القرن ١٧ وصل الهولنديون وبعدهم الإنجليز ثم الفرنسيون والدنماركيون إلى سواحل غرب إفريقيا ، ولكنهم رغم هذا التكالب على السواحل لم يتمكنوا من التوغل إلى الداخل بسبب قوه ملوكها وتماسكهم؛ لذلك اكتفوا بتجارة الرقيق على السواحل. وقد امتدت هذه المرحلة إلى القرن ١٩ وتعتبر المرحلة الأولى للاستعمار الاوروبى لغرب إفريقيا.



فى البداية لم يكن الأوروبيون يعرفون عن إفريقيا سوى الساحل الشمالى وبعض المراكز التجارية على سواحلها الغير معروفة ولا محددة، كانت إفريقيا بالنسبة لهم قارة ذات حافات أو هوامش معروفة من الناحية البحرية قليلة الاتصال بالجزء الداخلى من القارة لذلك سميت بالقارة المظلمة، وتبين من هذه التسمية أن معظم الأجزاء الداخلية منها كان مجهولًا. وبالاستكشافات الجغرافية اندفع الأوروبيون نحو امتلاك هذه الأجزاء، وأدى التنافس الاستعمارى الشرس أن سقطت القارة كلها شعوبًا وأرضًا وثروات فى يدالمستعمرين.

انبعثت الشرارة الأولى فى نشاط الحركة الاستعمارية فى إفريقيا من مشروعات الملك **ليوبولد الثانى** ملك بلجيكا واستيلائه على الكونغو ، فاتجهت بريطانيا إلى شرق إفريقيا وإلى نهر النيجر فى الغرب الإفريقى، وفرنسا إلى وسط إفريقيا وشمالها آملة أن تمتد سيطرتها على الساحل الشمالى إلى الصحراء ليصل أملاكها فى غرب إفريقيا بالكونغو. وأدى هذا التنافس الإمبريالى لإفريقيا أن سقطت القارة كلها فى يد المستعمرين.

أما المرحلة الثانية الاستعماريةفبدأت بعد مؤتمر برلين الذى خُطط فيه لابتلاع القارة. وصف مؤتمر برلين بأنه اكبر عملية اغتصاب عبر التاريخ، فيه تقرر تقسيم القارة بين القوى الأوروبية الاستعمارية، وتعيين مناطق نفوذ لكل منها حتى لا تحدث صراعات ومواجهات بينهم فى أثناء تكالبهم على احتلال المناطق، وتحكمت مصالح الدول الأوروبية فى هذا التقسيم الذى تم دون أدنى اعتبار لأوضاع الكيانات الاثنية فى القارة، فكانت نتيجة هذا التقسيم العشوائى أن توزعت الجماعية الاثنية الواحدة وتجمع جماعات أخرى لا تربط بينها أيه صلة ولا يجمعها إحساس مشترك بالإنتماء إلى قومية واحدة مما أدى إلى تنافر بين هذه الجماعات التى ربطت بينها الحدود المصطنعة، وقادت فى بعض الاحيان إلى صراعات دموية بين الجماعات المكونه للدولة.

إن الحدود المصطنعة التى رسمها المستعمرون للقارة فى مؤتمر برلين هى التى أوجدت مشاكل الحدود الحالية؛ لان هذه الحدود لم توضع تعبيرًا عن أوضاع سياسية أو حقائق اجتماعية ذات دلالات إنسانية أو تاريخية معقولة ومقبولة عند أهل البلاد، بل انها على عكس ذلك تمامًا وضعت فى معظم الأحيان على اسس تحكمية اعتباطية عبرت أولًا وقبل كل شىء عن المصالح والمطامع التى كانت المحرك الدافع للدول الاستعمارية.

* * *

إن ما حدث فى إفريقيا فى القرن ١٩ الذى يوصف بقرن الرعب الإفريقى يفوق كل تصور، ففى مرحلة تجارة الرق التى امتدت أربعة قرون كان القرن ١٩ هو القرن الأكثر فى عدد من استرقوا واستعبدوا من الإفريقين رجالًا ونساء وأطفالًا ، وهو الأكثر عددًا بالنسبة لمن قتلوا فى هذه العمليات. وقد أدى ذيوع هذه الجريمة البشرية على نطاق واسع إلى ضغوط من العالم الغربى ضد هذه التجارة، وتزعمت بريطانيا حملة تحريم الاتجار فى الرق بحجة انتهاك هذه التجارة للمبادئ الإنسانية. والحقيقة أن سعى بريطانيا لالغاء الرق لم يكن من منطلق إنسانى وإنما لمصلحة ذاتية، فبعد أن فقدت بريطانيا مستعمراتها فى امريكا الشمالية وفقدت سيطرتها على أمريكا قلت حاجتها إلى الرقيق هناك، ولم يعد الرق يعود عليها بالربح المأمول.

حدث إلغاء تجاره الرق جنبًا إلى جنب مع صعود الاستعمار الإمبريالى،لم تكن أوروپا مهتمة بالمساواة بين البشر أو فى حقهم فى الحياه أحرارًا فقد كان ذلك أمور أبعد ما يكون فى أجندتها السياسية وإنما كانت تريد السيادة والسيادة فقط، وهذا هو السبب العميق لإلغاء تجارة الرق فمع ظهور الآلة البخارية كقوة محركة حلت محل القوى البشرية لم يعد لدى الأوروبيين مصلحة فى اصطياد العبيد من إفريقيا وتصديرهم إلى أمريكا، بل صارت مصلحتهم فى استبقاء الإفريقيين فى إفريقيا واستعبادهم فيها واستخراج ثروات القارة لتصديرها إليهم، ألغوا عبودية الفرد لأنهم قرروا استعباد إفريقيا بأكملها بشرًا وأرضًا.وهكذا فتح الطريق للتغلغل الأوروپى وبدأ عصر الاستعمار المباشر لإفريقيا، وظهر التدخل البحرى بحجة منع سفن الرقيق وحماية مصالح التجار الأوروپيين التى صارت أكثر طموحًا واشتباكًا فى الصراعات الإفريقية، ثم استتبع ذلك إنشاء القنصليات الأجنبية بسلطات واسعة حيث مارست نفوذها بإحكام للسيطرة السياسية على البلاد الإفريقية بعد غزوها.

ولكن هذا التغول والافتراس الأوروپى لإفريقيا أدى من ناحية أخرى إلى الاستفزاز وتقوية مشاعر المقاومة وظهور الروح القومية التى كانت أكثر وضوحًا فى غرب إفريقيا فمقاومة اليوروبا والأشانتى وداهومى وممالك الهوسا، وتحالف القوى المتجاورة المحلية ضد النفوذ الأجنبى وبخاصة الفرنسى والبريطانى لا يمكن أن يفسر إلا بظهور الروح القومية بين الإفريقيين لذلك يوصف القرن التاسع عشر أنه اقترن بسمتين: استعمار القارة وتفتيتها وظهور الروح القومية.

* * *



بالنظر إلى خريطة إفريقيا فى بدايات القرن ١٩ وفى نهاياته نلاحظ على الخريطة الأولى عددًا ضئيلًا من الممتلكات الأوروبية فى إفريقيا، أما الخريطة الثانية فنرى كل القارة تقريبًا قد قسمت إلى مستعمرات أوروبية. لم يتم هذا عن طريق الغزو والاحتلال الفعلى بل من خلال معاهدات سياسية بين الدول الأوروبية العظمى التى رسمت الحدود على الورق، وهذه الحدود الوهمية هى نفسها التى أصبحت حدود الدول الإفريقية الحالية مع كل ما ترتب عليها من عواقب.

إن القرن ١٩ هو حقبة تمزيق وتقسيم واحتلال إفريقيا، فى بداياته قامت العلاقات الاستعمارية بين أوروپا وإفريقيا فى شكل تبادلات تجارية إذ لم يكن الاستعمار يظهر فيه بشكل سافر بعد، وبعد نصف قرن بوشرت تطبيقات عملية تم بموجبها تقسيم القارة بوتيرة شديدة السرعة. وفى نهاياته كان التقسيم قد أنجز ونشر الأوروبيون سيطرتهم على القارة كلها، وما يصدم فى عملية التقسيم لا يكمن فيما حصل بل بالاستخفاف الذى تمت خلاله هذه العملية. والمعروف أن القارة الإفريقية فى الفترة ما بين ١٨١٥ـ١٨٣٠ شهدت نوعًا من الثبات النسبى فيما يتعلق بالأوروبيين بغزو إفريقيا إذا أغفلنا طرفيها الشمالى والجنوبى. غير أن هذا الثبات انهار بعد عام ١٨٨٠. ففى عام ١٨٨١ احتلت فرنسا تونس، وفى العام التالى احتلت إنجلترا مصر ١٨٨٢، وكان لهذا الاحتلال تأثير كبير على مسار تقسيم إفريقيا، ويمكن القول بأن تقسيم إفريقيا كان مرتبطًا بالمسألة المصرية. لم تكن إنجلترا وفرنسا الدولتان الوحيدتان اللتان ترغبان بالاستيلاء على أجزاء من القارة، بل برزت هذه الرغبة أكثر فأكثر فى دول أخرى وظهر التنافس فى كل أجزاء إفريقيا، ويمكن القول أن إنجلترا هى من أطلقت هذه العملية التى تسارعت بمبادرات فرنسية وبلجيكية ثم دخلت ألمانيا الحلبة وتبعتها إيطاليا.

****

# الفصل الأول

## الاندفاع نحو القارة

١. إفريقيا قبل الغزو الأوروبى.

٢. دوافع الغزو.

٣. بدء الغزو: مرحلة الاستكشاف.

٤. سياسة الإلحاق.

٥. التوغل والاحتلال الفعلى.

## ١. إفريقيا قبل الغزو

حتى عام ١٨٨٠ لم تدخل إفريقيا فى دائرة الحكم المباشر للأوروبيين إلا مناطق محدودة من القارة هى المناطق الساحلية من السنغال فى غرب إفريقيا ومعها مدينة فريتاون وضواحيها وفى سيراليون، والأجزاء الجنوبية من ساحل الذهب (غانا) والمناطق الساحلية لأبيدجان فى ساحل العاج وداهومى (بنين حاليًا) وجزيرة لاجوس(بنيجيريا). أما شمال إفريقيا فإن الجزائر وحدها هى التى وقعت فى يد الاستعمار الفرنسى، ولم يدخل شبر واحد من شرق إفريقيا فى دائرة أية قوة أوروبية، بينما خضعت بعض الأشرطة الساحلية لموزمبيق وأنجولا دون غيرها فى وسط القارة لحكم البرتغال.

مختصر القول أنه حتى عام ١٨٨٠ كانت نسبة ٨٠٪ من القارة الإفريقية فى يد ملوكها وملكاتها ورؤساء عشائرها[١]. وإن أهم الاحداث التى وقعت بعد ذلك كان على أثر مؤتمر برلين ١٨٨٤ـ١٨٨٥ وهى الفترة التى شهدت غزو معظم القارة واحتلالها على يد القوى الأوروبية. لم يكن الاستعمار يمثل لافريقيا فقدًا لسيادتها واستقلالها فحسب بل كان تفتيتًا للمجتمعات الإفريقية وهجومًا على الثقافات القائمة أطاح بالعالم الإفريقى القديم كله الذى وجد نفسه دون سابق استعداد مضطرًا للتكيف مع الظروف الجديدة أو الهلاك، وأدى إلى اختلال معنوى ومادى يقترب فى عمقة وجد به من حالة التفكك الشامل.

ماذا عن موقف الإفريقيين أنفسهم إزاء هذا الاستعمار الذى استتبع تغييرًا عميقًا فى طبيعة العلاقات التى قامت بينهم وبين الأوروبيين؟. إن الاغلبية الساحقة من السلطات والقيادات

---

(١) تاريخ إفريقيا العام ـ المجلد السابع لافريقيا فى ظل السيطرة الاستعمارية ١٨٨٠ـ١٩٣٥. تأليف اللجنة العلمية لتحرير تاريخ إفريقيا العام(اليونسكو)ص٢٣. يلاحظ فيما يجد من إشارات لهذا المرجع بعد ذلك، أنى اطلعت على القسم الأول والثانى والسادس والسابع والثامن والثالث عشر من الكتاب نفسه. ثم أتممت مطالعة الكتاب من خلال شبكة الاتصالات. والإشارة إلى أرقام الصفحات حيثما تذكر فى الهوامش يراعى بشأن الترقيم الوارد فى شبكة الاتصالات الدولية.

الإفريقية ناهضت هذا التغيير بعنف وحاولت الاحتفاظ فوق كل شيء بالسيادة والاستقلال. والحقيقة المنكرة أن مرحلة الغزو الفعلى سبقتها سنوات من التفاوض وعقد الاتفاقات بين القوى الإمبريالية والحكام الإفريقيين، وفى مرحلة التفاوض هذه تقبلت القوى الأوروبية فى البداية نظراءها الإفريقيين كأنداد متكافئين، كما كانت تعترف بسيادة واستقلال الدول والكيانات السياسية القائمة فى القارة.

وعلى غير ما يشاع فالثابت أن الإفريقيين لم يتقبلوا السيطرة الاستعمارية بسهولة، وتدل الوقائع على أن رد فعل الافريقيين كان عنيفا فلم يكن أمامهم خيار إلا خياران لا ثالث لهما، إما أن يسارعوا بالتنازل عن سيادتهم واستقلالهم أو أن يدافعوا عنها مهما كان الثمن. والشاهد أن معظم الحكام الإفريقيين بغض النظر عن النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة فى دولهم، وعلى الرغم من كل الصعوبات قرروا الدفاع عن سيادتهم وعن استقلالهم. هذا فى الوقت الذى كان متاحًا للافريقيين أن يحصلوا على بعض المزايا المترتبة على الاتفاقيات مع الأوروبيين والتعاون معهم مثل إمكانية الحصول على الأسلحة النارية والسلع الاستهلاكية والاستعانة بالأوروبيين كحلفاء أقوياء عند حدوث النزاعات الداخلية والخارجية فيما بينهم. فلماذا رفضت كثير من الدول الإفريقية هذه الفرص واختارت أن تقاوم الأوروبيين؟.

إن المسألة لدى الإفريقيين لم تكن قضية مزايا ولكنها قضية أرض وسيادة، وهذا ما دفع الكيانات الإفريقية ان تختار طريق الدفاع عن سيادتها أو محاولة استردادها، فالمسألة فى نظرهم لم تكن قابلة للتنازل بل إن كثيرًا من قادة الدول فضلوا الموت فى ميدان المعركة أو الفرار الاختيارى أو مواجهة النفى الإجبارى على التنازل عن سيادتهم دون كفاح.

كانت القضية الأساسية بالنسبة للحكام الإفريقيين بين عامى ١٨٨٠ـ١٨٩٠ قضية السيادة. لم يوجد حاكم واحد كان مستعدًا للتنازل عن أرضه، حتى الحكام الذين وصفوا خطأ بأنهم ممالئون للاستعمار، فقد كانوا يعتقدون أن أفضل وسيلة للاحتفاظ بسيادتهم أو لاسترداد هذه السيادة التى ربما كانوا فقدوها أمام قوة أفريقية أخرى قبل وصول الأوروبيون هى «التحالف» مع الغزاة الأوروبيين وليس ممالأتهم، فالممالئ هو الذى يخون القضية الوطنية بالعمل مع العدو بغية تحقيق أهداف هذا العدو على حساب مصالح أمته، ولكن جميع الافريقيين واجهوا خيارًا صعبًا بين الاستلام أو الاحتفاظ بالسيادة أو استردادها، ومن ثم فإن من ربطوا مصيرهم بالأوروبيين كان سعيًا وراء تحقيق أهدافهم الخاصة[1]

(١) تاريخ إفريقيا العام ـ المرجع السابق ص٣١ـ٣٢



ولكن تغيرت العلاقات بين الإفريقيين والأوروبيين تغيرًا جذريًا بعد أن واجهت إفريقيا استعمارًا خطيرًا مدمرًا. فماذا حدث للعلاقات بين إفريقيا وأوروپا، وكيف أقيم النظام الاستعمارى فى افريقيا؟ وما هى التدابير السياسية والاقتصادية والسيكلوجية والايدلوجية التى اتخذت لتثبيت هذا النظام؟ وما هى التغيرات التى قبلتها إفريقيا والتغيرات التى رفضتها؟ وما الذى أبقى عليه النظام القديم وما الذى دمر؟ وماذا حدث من تكيف وتأقلم؟ وكم مؤسسة اختلت وضعفت وكم واحدة تفككت؟ وما هى آثار تلك الظواهر على إفريقيا وعلى شعوبها وعلى مؤسساتهم وهياكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟.

فى الوقت الذى هبط فيه الأوروبيون على الساحل وبنوا القلاع كانوا يؤدون أجورًا لهذه الشعوب الصغيره الموجودة على الساحل. ويمكن التصور أن الرؤساء فى هذه المناطق الساحلية كانوا مرحبين بهذا الدخل غير المتوقع وهذه الأهمية الجديدة التى اكتسبوها، فعلى طول ساحل غينيا كانت العشرات من الدول الأوروبية تتنافس بسفنها وتجارها وتتداول التجارة عبر العديد من الأيادى والمجالات، وكان لدى شعوب ساحل غينيا الممتد من ساحل غانا غربًا إلى ساحل بنين ثم ساحل نيجيريا ـ شرقًا ـ القوة الكامنة للمقاومة وكانوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم عندما يهاجمون ودافعوا عن أنفسهم فعلاً[1]

إن الحقيقة الغائبة أن الدول الرئيسية فى ساحل غرب إفريقيا وما جاورها فى الأراضى الإفريقية الداخلية قد نشأت بشكل قوى فى وقت نشأة مثيلتها فى أوروپا، كان لها تنافس داخلى وثقة اجتماعية بالنفس ورؤية فنية وقيمية وأخلاقية، وبعضها عرف أوروبا وبعضها لم يعرفها وذلك قبل أن تقوم تجارة بحرية على طول الساحل[2]

أما دول الداخل فقد كانت أكثر قوة ولكنها كانت تعيش فى صراعات وتنافسات، كانت شعوبًا منظمة فى حكومات مركزية يقف كل منها منافسًا للآخر، ولكن قوة إغراء التجارة الأوروبية والرغبة فى الدفاع عن النفس واستيراد البنادق والذخيرة زاد من حدة الصراعات القومية والقبلية الإفريقية بما جعلها تنفجر فى حروب وعمليات غزو أضعفت من قواهم وجعلتهم لقمه سائغة للمستعمرين تقاسمتها القوى الأوروبية.

والسؤال لماذا حصل هذا التقاسم فى تلك الفترة بالذات ما بين ١٨٨٠ـ١٩١٤ وهل كان

(١) تجاره العبيد فى افريقيا.عايدة العزب موسى/ مكتبة الشروق الدولية ص٧٦.

(٢) The African Slave Trate:Basil Davidson-James Gury Oxford 2004.P210

بالإمكان وقف هذا التقاسم؟ من الصعب تحديد بداية التقاسم أو اعتبار أن حدثًا معينًا هو سبب هذا التقاسم، كما أن التقاسم بدأ كمسألة أوراق، مسألة معاهدات حصلت من خلال الدول الأوروبية على دوائر نفوذ وممتلكات، ولكن الامر لم يستمر على هذا الحال لأن قوى استعمارية كثيرة طمعت فيما بعد فى احتلال الأراضى الإفريقية فعلًا بحيث أصبح التقاسم على الورق تقاسمًا على الأرض، والتقاسم على الورق ميز سنوات ١٨٨٠ بينما كان التقاسم على الارض فى فترة لاحقة. وكما يذكر «هنرى ويسلنغ» فى كتابه«تقسيم إفريقيا» (١) فى المرحلةالاولى من التقاسم كانت البلدان الاوروبية تعتمد فى هذا التقاسم على خرائط جغرافية، وكانت هذه الخرائط الجغرافية من نوع خاص إذ لم ترسم حدودًا طبيعية أو سياسية بل عبرت عما كان الأوروبيون يتفقون عليه فى الكواليس المظلمة، كانت الأراضى تحدد على الخريطة ثم يبدأ التفكير فى غزوها.

لم يضع تقاسم إفريقيا نهاية لجولات العنف، بل زاد العنف والقمع، وإذا قيل إن تقاسم إفريقيا لم ينتج إلا عددًا محدودًا نسبيًا من الحروب ولم يواجه مقاومه جماعية قوية شاملة فذلك لأن القوى الاستعمارية كانت متوافقة على هذا التقسيم. وكانت دوافعهم متفقة ومتنوعة اقتصاديًا(للحصول على مواد أولية وعلى وسائل تصريف الصناعة الأوروبية) ومالية وسياسية ومصالح استراتيجية. والسؤال الثانى لماذا ظهرت شراهة التقاسم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر؟ لعل السبب أنه فى بدايات القرن كانت أوروبا تعيش أوضاعًا سياسية مضطربة، لم تكن ألمانيا وإيطاليا وحدتا بعد، وفرنسا حجمتها إنجلترا فى منافستها البحرية الاستعمارية، والقوى الاستعمارية القديمة البرتغال وإسبانيا وهولندا كانت قد ضعفت وانسحبت أمام القوى الاستعمارية القوية. ولكن بعد سنوات ١٨٧٠ انتشرت الثورة الصناعية فى العالم وأصبح لإنجلترا منافسون جدد، فبعد هزيمة فرنسا أمام المانيا ١٨٧٠ سعت فرنسا لأن تعوض خسارتها بتوسيع نفوذها فى القارة الإفريقية، كما حاولت ألمانيا وإيطاليا الحديثتان على الجبهة الاستعمارية أن تجدا لهما وجودًا فى القارة، وكذلك بلجيكا التى تفانت للاستئثار بالكونغو.لقد أدى ظهور الدولة القومية فى أوروبا إلى منافسة حادة بين القوى الكبرى وإلى مناورات لا تتوقف.

## ٢. دوافع الغزو

تعد الفترة ١٨٨٠-١٩٠٠ مرحلة الغزو والاحتلال كما ذكرنا من قبل، فخلال هذه الفترة

(١) سلسلة دراسات افريقية «تقسيم إفريقيا» ١٨٨٠-١٩١٤- أحداث مؤتمر برلين وتوابعه السياسية/ هنرى ويسلنغ - ترجمة ريما إسماعيل / الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع الليبية ص٤٥٢



وضع تسعون بالمئة من القارة الإفريقية تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية، وتقاسمت القوى الأوروبية تقريبًا كامل الأراضى الإفريقية، كما كانت هذه الفترة أيضا مرحلة الدفاع عن السيادة الإفريقية من خلال استراتيجية المواجهة أو التحالف أو الخضوع المؤقت. كانت إفريقيا آخر قارة أخضعتها أوروبا، واتسم احتلالها بسرعة وسهولة لم يسبق لها مثيل. فما الذى أدى إلى هذه الظاهرة، وبعبارة أخرى لماذا قسمت إفريقيا سياسيًا واحتلت احتلالًا منظمًا فى خلال تلك الفترة القصيرة، ولماذا عجز الأفارقة عن صد هجمات أعدائهم؟.

بالنسبة للمستعمرين كانت فرنسا تسعى إلى تعويض خسارتها فى الحرب السبعينية (١٨٧٠) التى استولت ألمانيا فيها على جزء كبير من الأراضى الفرنسية وهما إقليما الألزاس واللورين(لم تستعدْهما فرنسا إلا بهزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٨)، وذلك بكسب أراضى فيما وراء البحار. إن فرنسا المهزومة أرادت أن تبحث عما يضمد جراحها بالحصول على إمبراطورية استعمارية فى إفريقيا تعوضها عن فقد الألزاس واللورين.

وكانت إنجلترا تريد التغلب على عزلتها الأوروبية بتوسيع الإمبراطورية البريطانية،أما ألمانيا وإيطاليا التى نمت الروح القوميةفيهما خلال حركات الوحدة والاستقلال(وحدة ألمانيا واستقلال إيطاليا عن إمبراطوية النمسا) وتمخضت عن رغبتهما فى التوسع وأن تكون لهما مستعمرات كإنجلترا وفرنسا، وإن تظهرا للعالم أن من حقهما أن تعززا بفتوحاتهما الإمبريالية فى الخارج ما اكتسباه داخل أوروبا من هيبة قائمة على القوة.

يؤكد ف.هـ هنسلى «أن حاجة أوروبا إلى السلم والاستقرار الداخلى هو السبب الأول فى تقسيم إفريقيا،فابتداء من ذلك العام الذى عقد فيه مؤتمر برلين كانت دول أوروبا قاب قوسين أو أدنى من الدخول فى حرب فيما بين بعضهم البعض جراء التنافس بين روسيا وبريطانيا فى البلقان وفى الإمبراطورية العثمانية. وقد استطاع الزعماء الأوروبيون درء هذه الأزمة فى مجال سياسة القوة وتراجعوا عنها، ومنذ ذلك الحين وحتى أزمة البوسنة عام ١٩٠٨ أبعدت سياسة القوة عن أوروبا فصارت تمارس فى إفريقيا وآسيا، وعندما أصبحت المصالح متضاربة فى إفريقيا تهدد بتقويض أركان السلام فى أوروبا، لم يكن أمام القوى الأوروبية من اختيار إلا تقطيع أوصال إفريقيا كى تحافظ على التوازن الدبلوماسى الأوروبى الذى كان قد استقر فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر (١).

(١) تاريخ إفريقيا العام - المرجع السابق - ص ٤٤.

ومن الناحية الاقتصادية لم يكن الاندفاع إلى القارة السوداء سببه تصريف الفائض من إنتاج المصانع الأوروبية بقدر ما كان سببه النقص فى إمداداتها من المواد الخام.

قبل توقيع وثيقة برلين كانت القوى الأوروبية قد حصلت على مناطق نفوذ فى إفريقيا بشتى الطرق مثل الاستيطان والاستكشافات وإنشاء المراكز التجارية ومستوطنات التبشير واحتلال المناطق الاستراتيجية وبإبرام المعاهدات مع الحكام الإفريقيين. أما بعد المؤتمر فقد أصبح النفوذ عن طريق المعاهدات أهم أسلوب من أساليب تنفيذ تقسيم القارة على الورق. وكانت تلك المعاهدات تتخذ شكلين:شكل معاهدات بين الإفريقيين والأوروبيين، وشكل اتفاقيات ثنائية بين الدول الأوروبية ذاتها. وكانت المعاهدات الإفريقية الأوروبية من نوعين اساسيين **أولهما** معاهدات تجارة الرقيق والمعاهدات التجارية التى أدت إلى احتكاكات نتج عنها التدخل السياسى الأوروبى فى الشئون الإفريقية، **وثانيهما** المعاهدات السياسية التى تخلى الحكام الإفريقيون بمقتضاها ضمنًا عن سيادتهم فى مقابل الحماية.

كانت المعاهدات السياسية هى الشائعة، وكان يبرمها إما ممثلون للحكومات الأوروبية أو ممثلون لهيئات خاصة تنازلت عنها فيما بعد للحكومات التى كانوا يتبعونها، وكان يترتب على قبول حكومة بلد أوروبى لتلك المعاهدات ضم الأراضى التى تتناولها أو إعلانها محمية خاصة لها. وإذا كانت الحكومة تشك فى صحة المعاهدات فإنها كانت تستخدمها فى أغراض المساومة فى أثناء المفاوضات الثنائية الأوروبية.

أما الإفريقيون فكانوا يبرمون تلك المعاهدات لدوافع شتى متصورين أنها فى مصلحة شعوبهم،ففى بعض الحالات كانوا يقبلون على إبرام علاقات تعاهدية مع الأوروبيين أملا فى أن تعود عليهم بالهيبة عند جيرانهم، وأحيانا أخرى كانت دولة إفريقية ضعيفة تقبل عقد معاهدة مع إحدى الدول الأوروبية على أمل أن تساعدها على التنصل من ولائها لدولة إفريقية أخرى تدعى السيادة عليها، كما كان بعض الحكام الإفريقيين يقبلون على عقد المعاهدات على أمل استغلالها فى تدعيم سيطرتها على الدول التى تخضع لهم على مضض، وفى أحيان أخرى كانت بعض الدول الإفريقية تعتبر إبرام معاهدة مع إحدى الدول الاوروبية وسيلة للحفاظ على استقلالها من تهديدات دول أوروبية أخرى[1]

فى حين تعمدت الدول الأوروبية المتعاقدة بمعاهدات إلى تحويل حقوقها ـ بمقتضى هذه

(١) تاريخ إفريقيا العام ـ المرجع السابق ص٤٥ـ٥١.



المعاهدة ـ إلى حقوق سيادة طالما لم تطعن فى المعاهدة أية دول أوروبية أخرى. وقد أنجز تقسيم إفريقيا على الورق قبل نهاية القرن التاسع عشر بمقتضى سلسة من المعاهدات والاتفاقات. وعلى العموم تمت هذه المعاهدات بطريق الغش والتدليس بعضها زور تزويرًا صريحًا وبعضها الآخر كان وهميًا، باختصار معظمها نفذ بطريقة مخالفة للقانون.

## ٣. بدء الغزو:مرحلة الاستكشافات

ترجع بداية الغزو الاستعمارى لإفريقيا إلى جهود المستكشفين الأوائل، وبدأ الاستكشاف المنظم لإفريقيا من الداخل مع رحلة مونجو بارك Mango Park إلى السودان الغربى ما بين سنوات ١٧٩٥ـ١٧٩٧. ومونجو بارك مثل الآخرين الذين اتبعوه، لم يكن لديهم أى طموحات تتعلق بالفتح أو الغزو، وقليل منهم من كان يهتم بالتجارة. كانت المغامرة والوصول إلى المعارف والباعث العلمى هو الهدف الاول. وعندما أنشئت الجمعية الإفريقية البريطانية ١٧٨٨ فإن سير جوزيف بانكس ورفاقه استهدفوا فى الأساس أن يعرفوا شكل وهيئة القارة الافريقية، ومن بعد ذلك جاء التنصير والتجارة.

كان الجهد الاستكشافى جهدًا شاقًا وكانت الصعوبات عديدة. ومرت سنوات ثلاثون فصلت بين ما كان يؤكده «بارك» من ان نهر النيجر يتجه إلى الشرق وليس إلى الغرب، وأكثر من ثلاثين سنة فصلت بين هذا الأمر وبين تحديد المستكشف «لاندر Lander» لآبار الزيت وتدفق النيجر غربًا إلى البحر. كما قام «رينيه كاليه Reny Caillie» برحلة كبيرة من جامبيا إلى مراكش عبر السودان الغربى والصحراء فى ١٨٢٧ـ١٨٢٨. ولكنه لم يحدث إلا فى ١٨٤٩ أن استطاع الرحالة «بنجرBinger» أن يعرف البلاد التى تتاخم طريق «كاليه» داخل إفريقيا.

تقدمت هذه الجهود بالتدريج، ففى ستينيات القرن التاسع عشر فإن عددا من البعثات رسمت خريطة تحدد سمات إفريقيا الغربية الداخلية[1] فى حين كانت بدايات الدراسة المنهجية لشعوب هذه المنطقة ظهرت عام ١٨٥٧ مع كتابات «هنرى بارث» Heinarich Barth. وبالنسبة لوسط وجنوب إفريقيا بدأت رحلات ديفيد ليفنجستون David Livigstone عام ١٨٤١ واستمرت بتواصل وإصرار نحو ربع قرن. وقد شغلت رحلات هذا المستكشف خيالات وطموحات كثيرين من المستكشفين الآخرين سواء كانوا من البعثات التبشيرية أو غيرها.وفى عام ١٨٥٧ مشى «بيرتون Buirton» ألف ميل من باجامويو على ساحل تانزانيا

(١) Africa In History.Basil Davidson.p282

إلى بحيرة تنجانيقا فى حين استمر زميله Speke فى اتجاه إلى الشمال إلى بحيرة فكتوريا. وبعد عدة سنوات وصل سبيك مع جرانت Grant إلى المياه العليا للنيل الأبيض، وفى نفس الوقت كان صمويل بيكر آتيًا إليها من الخرطوم ومتجهًا غربًا إلى أوغندا. وبعد الستينيات من القرن التاسع عشر صارت المسأله أساسًا تصحيح أخطاء وتكملة جزئيات على الخريطة.

فى ذلك الوقت كان المشروع التبشيرى المسيحى للقرن التاسع عشر ينمو نموه البطىء، وفى هذا الشأن فإن الصعوبات كانت كبيرة جدًّا ليس أقلها المكافحة المادية للملاريا والحميات الأخرى ورغم ذلك فإن الاستجابة للتطوع كانت قائمة رغم الاخطار. إن أكثر من ٥٢ مبشرًا عانى من الحميات فى الشاطئ الغربى فى عام ١٨٢٥ وحدها ولكن تدفق المتطوعين لم يفشل. وفى عام ١٨٠٤ فإن جمعية مبشرى الكنيسة البريطانية بدأت أعمالها فى سيراليون، وبعد ٢٣ سنة ظهرت خطوة هائلة إذ أُسست مؤسسة «فورابيىFourah Bay» لتعليم التلاميذ الواعدين ـ وقد كان أحد أوائل تلاميذها صمويل كروثر الذى صار بعد ذلك أسقفا على نيجيريا ـ ،كان دارسًا بارعًا للغات إفريقية الغربية، وترجم جزءًا من الإنجيل لليوروبا. وفى عام ١٨٤٦ أُسست مقارات للبعثات فى يوروبا لاند، كما أُسست مقار أخرى عام ١٨٦٥ فى«لوكوجا ـ Lokoja».

إن الكنيسة الكاثوليكية وعديدًا من المؤسسات البروتستانتية قاموا بأعمال مشابهة فى مناطق ساحلية عديدة فى إفريقيا واندفعوا بنشاطهم إلى الداخل. وفى عام ١٩٠٠ كانت هناك مناطق قليلة هى ما لم تصل إليه بعثات التبشير المسيحى وفشلت فى الوصول إليها والاستقرار بها، فالجهود الكاثوليكية المبكرة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر أعيد إنتاجها على نطاق القارة كلها، وبعثت بذلك نخبة إفريقية ذات ثقافة مسيحية، وكان هذا ما لعب دورًا له أهميته حتى قبل ١٩٠٠ فى تشكيل اتجاهات الفكر المعادى للاستعمار.

## ٤. سياسة الالحاق

تبنى الأوروبيون فى القرن التاسع عشر نظرية تفوقهم العنصرى على شعوب العالم وأنهم ينتمون إلى عرق أبيض واحد ظهر أولاً فى القوقاز. وصنف عالم الأجناس الألمانى **جوهان بلوبن باخ** الأجناس العرقية فى العالم بأنهم ينتمون إلى أربعة أعراق الأبيض والأصفر والأحمر والأسود. ثم قام العالم الفرنسى **جوزيف آرثر دى جوبينو** بوضع هرمية عرقية على رأسها الجنس الابيض الأوروبى.



قوبلت هذه النظريات بتأييد واسع وحركت أناسًا للحديث عن أن من واجبهم تحضير السود، وتم الغزو الاستعمارى باسم هذه النظرية، وبحجة انقاذ القارة من همجيتها العشوائية القبلية التى كانت لها الهيمنة واليد الطولى.ولكن هذه النظرية التى انتشرت على نحو واسع أجهضتها دراسة التاريخ الإفريقى الحديث الذى أظهر زيف هذه النظرية، فأغلب إفريقيا لم يكن فى حالة اضطراب ولا فوضى قبل الغزوات الاستعمارية. كانت هناك مناطق واسعة فى هذه القارة الشاسعة تسير أمورها بالطرق القديمة بشكل مستقر، وقليلًا ما كان يحدث الاضطراب الذى يؤثر على العادات والأعراف والتقاليد المستقرة. وكان كل جيل بعد جيل يتخذ من أصلاب أسلافه مسئولياتهم وينشئ وثاقًا بين من مات ومن يعيش ومن سيولد. إن ديفيد ليفنجستون وجد فى أراضى الزامبيزى العليا فى خلال الفترة ما بين الأربعينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر أن الأمن كان كاملًا بالنسبة للأرواح والممتلكات فى كل بقاع المملكة، وثمة رحالة آخرون وصلوا إلى نفس النتيجة(١)

وهذه ليست وحدها الحقيقة فثمة حقيقة أخرى هى أن أزمة القارة التى وصلت بإفريقيا إلى الحضيض كانت تجارة الرقيق التى امتدت نتائجها السيئة على الساحل الغربى الإفريقى، ومن المناطق الشرقية إلى البحيرات الكبرى بالوسط، هذه التجارة استمرت فى الانتشار حتى الثمانينيات من القرن التاسع عشر وخاصة عند الساحل الغربى وشواطئ شمال إفريقية. ولو لم تكن جرت هذه التجارة كان يمكن أن تقوم فى إفريقيا أنظمة جديدة مختلفة للتجارة والإنتاج وتسير بفاعلية كبيرة تطيح بالعادات القديمة وتنشئ أوضاعا جديدة دون استخدام العنف. إن الخلل الذى أحدثتة تجارة الرق نتج عنه تغييرات اجتماعية واقتصادية تخللت الهياكل التقليدية الإفريقية..

لقد دمرت تجارة العبيد النظم الإفريقية التقليدية للعصر الحديدى الناجح طويل المدى الذى كانت تعيشه إفريقيا، ووصلت فيه القارة إلى حد النضوج من فنون ونحت ونسيج، وكان المقدر له أن يتلوه توسع فى التطور الاقتصادى ولكن جاءت هذه التجارة التى فقدت فيها إفريقيا الملايين من أبنائها. بالإضافة إلى حروب البنادق والأسلحة التى أُدخلت على القارة، كان لذلك أثره الضار على المجتمعات الإفريقية واقتصادياتها.

إن الحقيقة الكبرى التى تكشفت الآن أن إفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية كانوا جميعًا يمشون خطوة خطوة نحو التطور، وكانت الفجوة فى القوى الحربية والقدرات العسكرية تكاد

(١) المرجع السابق African In History ص٢٧٦

تكون متقاربة فى العصور الوسطى، ولكن بعد ذلك بثلاث قرون تلت عرفت أوروبا خبرات متعددة الجوانب لم يكن لإفريقيا أى مشاركةفيها.

وفيما بعد ثلاثينيات القرن التاسع عشر أخذ التدخل الأوروبى يزداد عمقًا واتساعًا رغم أن الحكومات الأوروبية لم تكن ترحب به وحاولت أحيانًا أن تعارضه ولكن التدخل استمر. فى عام ١٨٤٠ سيطرت فرنسا على الشاطئ الغربى فيما يُسمى بالسنغال وخضع لإدارة فرنسية، وفى عام ١٨٤٩ عُين قناصل بريطانيون على شواطئ لاجوس (نيجيريا)، وهذه السلطات الجديدة دخلت سريعًا فى أعمال ضد السلطات الإفريقية القائمة. ومع القناصل جاءت الزوارق الحربية والقوات المسلحة. وفى عام ١٨٦٠ احتلت فرنسا ميناء داكار على شاطئ السنغال وبدأت فى دفع قواتها داخل الأراضى، وبعد عام واحد حاصر الإنجليز لاجوس واحتلوها، وهكذا صار غرب إفريقيا سياسة وهدفًا استعماريًا لأوروبا الغربية.

لم تكن هذه السياسة مرحبًا بها فى البداية بما تتكبده من نفقات للحكومات الغربية، ورغم ذلك استطاعت هذه السياسة أن تكتسح كل الاعتراضات واستمرت سياسة الإلحاق لمناطق صغيرة بعناد نتج عنها الحاجة إلى المال والدخل، وأسهل وسائل الدخل هو فرض الضريبة على التجارة،ولكن الضرائب تحتاج إلى حدود فنما بسرعة الوعى بأنه كلما اتسعت الحدود كلما زاد الدخل بمعنى أن بلوغ الشواطئ أدى إلى السيطرة على الشواطئ وعمّق الاتصال بأوروبا، وأدت السيطرة على الشواطئ خطوة خطوة إلى غزو أراضى الساحل وفرض الحماية للسيطرة على أراضى الداخل، ولكنها حماية تستدعى نفقات للقوات والموظفين المقيمين فى هذه المناطق، ففرض الأوروبيون ضرائب على التجارة يتحملها الإفريقيون وحدهم ليمولوا نفقات قوات الاحتلال فى هذه المناطق[1] هذه واحدة.

الأمر الثانى هو الضغط لإنهاء تجارة الرق بوسائل تتعلق بالغزوات العقابية للجيران والمناطق التى لم تلحق بعد، وهذه الغزوات أدت إلى امتداد نفوذ التجار والحكام فى ذات الوقت. وتحت هذه الضغوط المتنوعة كتب موظف استعمارى كبير عام ١٨٦٣ يقول « إننا دون أن نشعر انزلقنا فى سياسة جديدة لمحاولة وقف تجارة العبيد عن طريق عمل جنود وليس عمل تجارة»، إن وقف تجارة الرق صارت وسيلة لأهداف مختلفة وليس فقط لمراقبة أو أسر سفن العبيد التى يقوم بها تجار الرقيق من الأوروبيين والبرازيليين وتجار الولايات المتحدة فى أعالى

(١) المرجع السابق African In History ص٢٧٨



البحار، وإنما لقيام بريطانيا بأعمال عسكرية على الأرض...وفيما بعد عندما لم تعد تجارة الرقيق أمرًا مطروحًا بقيت عملية الإلحاق مستمرة وصار الإلحاق يتم بعذر أو بآخر.

إن الوزراء والموظفين فى لندن وباريس بدافع الخشية من النفقات لم يكونوا يميلون إلى هذه العملية وكانوا يعارضونها، ولكن ترددهم لم يؤد إلى نتائج هامة وصارت آلة التوسع الاستعمارى تعمل بقوتها ولم تكن تتوقف. وفى عام ١٨٦٥ فإن لجنة مختارة من مجلس العموم البريطانى أوصت بالانسحاب البريطانى من كل مناطق إفريقيا الغربية فيما عدا سيراليون، ولكن بعد ذلك بتسع سنوات فإن ساحل الذهب (غانا) صار مستعمرة بريطانية جديدة[1]

ولعل أهم عامل ساهم فى إنجاح سياسة الإلحاق والاستيلاب الإفريقى هى الشركات التجارية عابرة القارات[2] التى تلخص قصة الاستعمار الغربى كله وبها بسط سيطرته على العالم فى القرون الماضية،«هذه الشركات اعملت فيه أسوأ اشكال النهب الاستعمارى والعنف العنصرى الهمجى المنهج بهدف استنزاف خيرات إفريقيا واسترقاق شعوبها وتدمير مقوماتها الإنسانية. كانت الشركات التجارية الضخمة تقوم بالاستحواذ على ثروات شعب بأكمله لمصلحة شركة وحيدة تصب فى النهاية لمصلحة الدولة الاستعمارية، وباسم التجارة الحرة ـ التى هى فى حقيقتها تجارة الإجبار أو الجشع التجارى ـ أتت بهدف التجارة ولكنها بقيت من أجل الحكم، فالاستراتيجية البريطانية اعتمدت على إطلاق يد القطاع الخاص بالانتفاع بثروات الشعوب ووقفت بقوة خلف هذه الشركات ومنحتها امتيازات شبه سيادية من بينها حق سك العملة الخاصة فى فروعها الخارجية والاضطلاع بالسلطة القضائية فى المستعمرات وحق تكوين الجيوش المسلحة بل والحق فى شن الحروب. وبهذا توسعت الامبراطورية البريطانية التجارية عبر المحيط الأطلنطى وحول رأس الرجاء الصالح إلى الخليج العربى وصولا إلى الهند، فالهند مثلًا هذه البلاد الجميلة كانت مزدهرة فى ظل أكثر الأنظمة الأهلية الاستبدادية، ففى عام ١٧٥٠ كانت شبة القارة الهندية تنتج حوالى ربع الإنتاج الصناعى فى العالم فى حين كانت بريطانيا تنتج فقط ٩ ,١ ٪وأصبحت الهند على وشك الدمار عندما صار للإنجليز نصيب كبير فى إدارتها.

لقد كانت الشركات التجارية على استعداد لارتكاب جرائم مروعة لأنها كانت تعلم جيدًا

(١) African In History المرجع السابق ص٢٧٩
(٢) مقتطفات من كتاب الشركة التى غيرت العالم.تأليف نك روبينز.ترجمة كمال المصرى.مكتبة الشروق الدولية.

أنه لا يوجد من القوانين فى بريطانيا ولا فى العالم كله مايمنعها أو يحاسبها على ارتكاب الجرائم فى خارج بلادها. كان النظام التجارى يؤمن بمبدأ واحد وهو الجشع التجارى ويستخدم وسيلة واحدة للحكم هى القوة».

إن سياسة التوسع والإلحاق لم تكن مفهومة فى ذلك العصر حتى إن وزراء بريطانيين وفرنسيين فشلوا فى فهم مواقف حكوماتهم، وكذلك القادة الإفريقيين لم يدركوا الأمر. راقبوا السياسات الأوروبية والفعل الأوروبى ولم يحركوا ساكنًا، قبلوا التحالف أو الصداقة مع هذا البلد الأوروبى أو ذاك ونادرًا ما كانوا يرون أنهم بذلك يفتحون الأبواب لغزو أوروبى يجىء بعد ذلك. إن البعض فكر فيما إذا كان يمكن أن يحصل على فائدة من الوجود الأوروبى والبعض الآخر فقد بوصلته تمامًا..فأيدلوجيات عصر الحديد كانت تقود إلى عدد من الاحتمالات ليس فيها تفسير لما تفعله أوروبا فى القرن التاسع عشر. لقد كان الدرس طويلًا وقاسيًا.

## ٥. التوغل والاحتلال الفعلى

بلغت الصراعات والطموحات الإمبريالية ذروتها فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر فيما أسمته الصحافة حينذاك «التدافع إلى إفريقيا».ويرى بعض المؤرخين أن هناك علاقة بين الاتفاقات البريطانية الفرنسية التى أظهرتها السيطرة البريطانية على مصر وقناة السويس. ويرى آخرون تلك العلاقة فى الأعمال المثيرة لملك بلجيكا ليوبولد الثانى لكى يستحوذ لنفسه على مستعمرة فى وسط إفريقيا مترامية الأطراف تحت بصر وأنف معاصريه الأكثر قوة منه.

والحقيقة إن خلف كل الحركات الدبلوماسية والسياسية تكمن ضغوط حاسمة كبيرة. هذه الضغوط أطلقها النمو الهائل للرأسمالية فى أوروبا الغربية، وتجلت على المسرح الإفريقى بما وصف أنه حصاد الضغوط الصلبة للمغامرين التجار؛ وفق ذلك كله كان هناك رجال من أمثال سيسل رودس الذين أكدوا أن حكومات فى أوروپا يتعين عليها أن تشيد مشروعًا استعماريًا وراء البحار، ومن جهود هؤلاء بوعى أو بدون وعى كانت الايدلوجيات الخاصة بأوروبا الاستعمارية تتخذ شكلها وطابعها العملى.

عندما تحولت هذه الضغوط فى النهاية إلى غزو متعدد الجوانب وجدت قوى أوروبا الغربية نفسها تقع فى عدد من الظروف الحرجة، لقد وضعوا أقدامهم بثبات على مواقع هامة على الساحل وصارت لهم روابط مع عدد من الشعوب الساحلية فى إفريقيا وكانوا يحوزون(الأوروبيون) على قوى صناعية وعسكرية لا تقارن بالإنتاج المحدود لاقتصاد عصر الحديد والإنتاج السابق



للرأسمالية بوسائله الحرفية اليدوية[١].وكانوا أيضًا قادرين على السيطرة على منافساتهم فى إفريقيا فى إطار اتفاقات يمكن أن يجروها بين بعضهم البعض، وإذا كانوا يتعاركون بشدة بين بعضهم فقد كانوا حريصين على ألا يجرى هذا العراك فى إفريقيا. إن الحدود الواسعة للتوسع لكل القوى ذات المصلحة لم تحدث إلا متاعب قليلة بينهم فى المؤتمر الاستعمارى فى برلين ١٨٨٤ـ١٨٨٥، وكانت هذه القوى هى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا(من خلال ملكها) وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا.

كانت اتفاقات فعالة للقمة سبقت هذا المؤتمر فى إفريقيا الشمالية؛ إذ أسس الفرنسيون مصلحتهم الأولوية مبكرًا فى عام ١٨٣٠ فى غزوهم المفاجئ للجزائر. وحدث ذلك فى الطرف الشرقى للبحر المتوسط بواسطة بريطانيا حيث كانت مصر والبحر الأحمر ذات أهمية عليا كحلقة فى طريق المواصلات البريطانية إلى الهند. إن البريطانيين بعد ثورة عرابى باشا قرروا نهائيًا حقهم الغزو فى مواجهةفرنسا. وإذا كان السبب الظاهرى هو الرقابة المالية الانجليزية الفرنسية على مصر فإن الإنجليز ما إن احتلوا مصر بقوا فيها وأعلنوا رسميًا حمايتهم عليها ١٩١٤[٢]. فى ذلك الوقت أسست فرنسا محمية لها فى تونس عام ١٨٨٠، وبعد عشرين سنة اتفقت فرنسا وإنجلترا على أن يطلق كل منهما يد الأخرى فيما احتلته مصر لبريطانيا ومراكش لفرنسا عام ١٩٠٤.

تكررت هذه العملية ذاتها فى مناطق إفريقيةأخرى كانت منطقة العبودية فى شرق إفريقيا مثلًا واضحًا على ذلك، إذ خضعت لنوع من السيطرة الاستعمارية أوقفت حالة الحروب القبلية، ولكن ثمنًا كبيرًا دفعه الأهالى فمع كل حرب داخلية توقفت حلت محلها حرب أكبر بالغزو الذى كان مليئًا بالمذابح والدمار. فالملك ليوبولد ووكلاؤه الذين ادعوا أنهم وضعوا نهاية لتصدير العرب السواحيلى للعبيد أنجزوا ذلك مقابل الموت والبؤس لفئات كبيرة من الشعب الذين صاروا حكامًا عليه[٣]

ومثل البريطانيين فى الأراضى وراء لاجوس وساحل الذهب واجه الفرنسيون شعوبًا أشداء فخورين باستقلالهم ومستعدين للقتال من أجله ولكن مقاومتهم فشلت فى النهاية

(١) المرجع السابق. African In History ص٢٨٤
(٢) مع اعتراف بريطانيا باستقلال مصر السياسى واكتسابها الشخصية الدولية الكاملة منذ فبراير ١٩٢٢ إلا أن الإنجليز لم يجلوا عنها إلا فى عام ١٩٥٦ بموجب اتفاقية أبرمت فى أكتوبر ١٩٥٤.
(٣) المرجع السابق African In History ص٢٨٥.

لأنهم كانوا يحوزون أدوات قتال أضعف وتنظيماً عسكريًا أقل كفاءة، ولأنهم لم يستطيعوا أبدًا أن ينجزوا فيما بينهم وحدة تضمهم معًا، واحتاج الأمر من الفرنسيين إلى عشرين سنة من الحروب لكى يبرروا دعواهم على أرض مالى وصنغى.

ويمكن ملاحظة أنه رغم تماثل الدوافع لدى الإمبريالية الفرنسية أساسًا مع الدوافع البريطانية فقد كان الاستعمار الفرنسى يتميز بتأييد رأسمالى ضعيف. إن الفرنسيين كان لديهم كوادر قوية من المغامرين التجار، ولكنهم لم يكونوا بالصلابة الكبيرة التى تتوافر لدى أمثال رودس الإنجليزى، وتركت أشياء كثيرة للمنظمين المحليين المستوطنين الذين قاموا بدور نشيط ولكنهم كانوا محدودين فى إطار وسائلهم المتواضعة.

ومن الوجهة الاقتصادية فإن الغزاة الفرنسيين فى إفريقيا بدوا أكثر ترددًا من البريطانيين فى الاستثمار فى المشروعات الإفريقية التى ظهر احتمال ربحيتها إلا أنهم لم يكونوا راغبين فى المغامرة برأسمالهم وكانوا يفضلون المجالات الأكثر ضمانا للربح فى أوروبا وآسيا، فقد كانوا بشكل عام أقل ثقة فى أنهم سيحصلون على الأمان لمشروعاتهم فى إفريقيا. وتعويضًا عن هذا الوضع بدوا أكثر قوة من ناحية «العنصرية الاستعمارية» ودعم هذا طموحات الجيش والبرجوازية التى صورت الانتصار فيما وراء البحار على أنه نوع من التفوق الوطنى أكثر من قرنائهم الإنجليز.

إن الغزاة الصغار لم يجدوا مهمتهم أسهل رغم أن طموحاتهم كانت أقل. فالبرتغاليون محميين ببريطانيا مُكنوا من الوجود فى مجالات نفوذ داخل القارة فى أنجولا وموزمبيق وأوجدوا فيها احتلالاً فعليًا. وأقوى من هؤلاء ـ ولكن بعيدًا عن الأنظار تمامًا ـ كان الألمان يحصلون على مواقع أقدام فى جنوب غرب إفريقيا وفى الكاميرون وتوجو وتنجانيقا فى الشرق، وقد استخدموا أشد وسائل القوة والعنف مقارنًا بغيرهم من الغزاة. وإن الألمان مثل منافسيهم تحركوا داخل إفريقيا من مواقع أقدامهم على الساحل بعمليات عدوانية، وبالطعنات المفاجئة توسعت أعمالهم الحربية واحتلالهم الفعال للأراضى. لم يكن الألمان وحدهم من يتبعون هذه الأوضاع ولكنهم فاقوا غيرهم فى هذه الأساليب.

ورغم استمرار العنف الاستعمارى ضد حركات المقاومة للشعوب الإفريقية فإن الغزو الاستعمارى جرى أحيانا بوسائل سلمية، ومن هذه الوسائل الأكثر فاعلية عملية التغلغل والتقدم المستمر حتى بلوغ مرحلة الاحتلال الفعلى، وهذا الأمر كان يجرى بواسطة عمليات لم يكن أى من الرؤساء الإفريقيين يدركون النوايا وراءها أو نادرًا ما كانوا يدركون ذلك..بهذه الأساليب وبغيرها اقتسمت إفريقيا بالتدريج[1].

(١) المرجع السابق African In History ص٢٨٦.



ثم قام المستعمرون بعد ذلك بتحرير عدد كبير من الاتفاقيات بين بعضهم البعض وخاصة من خلال التسعينيات من القرن التاسع عشر، وكانت هذه الاتفاقيات بين المستعمرين مما يصوغ الاعتراف بالحدود التى بقيت لوقت طويل ليست أكثر من خطوط على خريطة إفريقيا.

إن القوى الأوروبية بعد أن استقرت صراعاتها الذاتية شرعت فى التوغل التفصيلى والإخضاع الفعلى للأراضى التى تأكد لكل منها احتلاله الفعلى. وإذا كانت الاعوام من ١٨٠٠ـ١٩٠٠ هى بشكل عام أعوام الغزو وإقامة الوجود الاستعمارى فإن الأعوام من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٤ يمكن تعريفها بأنها مرحلة التهدئة التى تم فيها استقرار الحكم الاستعمارى.

*****

# الفصل الثانى

## الكارثة مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥

- إرهاصات المؤتمر.
- وقائع المؤتمر.
- نص قرارات المؤتمر.
- اسلاب المؤتمر.
- مضمون المؤتمر.

## ١. مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥

### إرهاصات المؤتمر

لا يوجد حدث فى تاريخ إفريقيا الحديث كانت له من نتائج على القارة مثلما كان لمؤتمر برلين ١٨٨٤ـ١٨٨٥، وكما قال الزعيم الغانى العظيم كوامى نكروما«إن أول تقسيم لإفريقيا وتفتيتها تم حسمه فى مؤتمر برلين». ويعتبر المؤتمر عملًا دوليًا لتنظيم السلب والنهب فى القارة الإفريقية وأضفى الشرعية الدولية لالتهام القارة، وكان معنى نصوصه أن التملك بوضع اليد جائز فى الأراضى غير التابعة لدولة أخرى من الدول الموقعة على الإتفاقية سواء كانت مسكونة بالقبائل أوالأمم[١].

انعقد المؤتمر على مدى ثلاثة شهور فى برلين بألمانيا وحضرته ١٣ دولة أوروبية فضلًا عن الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يدع أى إفريقى إلى هذا المؤتمر ولا أخطر بقراراته التى أرست قواعد اقتسام إفريقيا وغيرت الخريطة البشرية والسياسية الجغرافية لإفريقيا بشكل يصعب تصديقه. بدأ تقاسم إفريقيا كمسألة أوراق، مسألة معاهدات حصلت من خلالها الدول الأوروبية على دوائر نفوذ وممتلكات،ثم طمعت الدول الاستعمارية فى احتلال الأراضى الإفريقية فتحول هذا التقاسم على الورق إلى التقاسم على الأرض، كان التقاسم على خرائط جغرافية لم ترسم حدودًا طبيعية أو سياسية بل عبرت عما كان الدبلوماسيون الأوروبيون يتفقون عليه فى الكواليس المظلمة، عكس ما كان يحدث فى أوروبا مثلًا إذ كانت تتم الغزوات ثم تنتقل إلى الخرائط بينما فى إفريقيا كانت تحدد الأراضى على الخريطة ثم يبدأ التفكير فى طريقة غزوها[٢]. وقد استطاع تقاسم إفريقيا أن يكمل حتى النهاية لأن القوى الاستعمارية كانت متفقة على ذلك.

(١) تاريخ إفريقيا الحديث/ د.إلهام محمد على ص١٦.
(٢) تاريخ إفريقيا العام ـ المرجع السابق ـ ص٤٥٠.

إن النظرة العامة لخريطة إفريقيا قبل انعقاد المؤتمر تُظهر إن حوالى ١٠٪ من مساحة إفريقيا كانت تحت السيطرة الاستعمارية، وفى أقل من عشرين سنة بعده استولى الأوروبيون على باقى القارة، وهكذا غير المؤتمر صورة إفريقيا بعد أن نظم عمليات السيطرة عليها.

عندما افتتح المؤتمر فى منتصف نوفمبر ١٨٨٤ كان ٩٠٪ من إفريقيا لا يزال تحت السيطرة المحلية التقليدية، وباستثناء سيطرة فرنسا على الجزائر وبريطانيا على مستعمرتى الكاب والناتال(كلاهما صار جزءًا من جنوب إفريقيا الحديثة) والبرتغال على أنجولا، كان الاستعمار يتركز أساسًا حول السواحل الإفريقية وكان الداخل لا يزال شديد الغموض بالنسبة للأوروبيين مما قادهم إلى المقولة الخاطئة بأن إفريقيا هى القارة المظلمة. لم يكن الإظلام على أية حال فى ذات إفريقيا وإنما كان فى رءوس الأوروبيين المتطلعين الذين لم يكن لهم أى فكرة على ما كان عليه الداخل الإفريقى وما يحدث فيه.

وعلى مدى الشهور الثلاثة التى استغرقها مؤتمر برلين مزقت القوى الأوروبية أراضى إفريقيا كلها غير عائبة بالكيانات الثقافية واللغوية والقبلية والتاريخية التى عليها الأهالى، وتوزعت القارة على خمسين دولة منفصلة بعضها عن بعض، كلها أشتات من الجغرافيا والثقافات والأجناس والعناصر الموحدة الأخرى.

إن بعض المؤرخين المحدثين مثل المؤرخ الامريكى آدم هوتشيلد يصر على أن مؤتمر برلين لم يقسم إفريقيا وذلك على عكس الاقتناع الشعبى بذلك، يقول فى كتابه«شبح الملك ليوبولد» الذى نشر عام ١٩٩٠:«إن النهب كان واسعًا جدًّا بحيث أنه احتاج إلى معاهدات أخرى كثيرة لتوزعه». ومع صحة هذا القول من الناحية الفنية فإن مؤتمر برلين يصلح أن يكون علامة لكل ذلك ولبعثرة إفريقيا، فإن ١٤ دولة مشاركة فى المؤتمر تركت برلين مع ادعاءات غير كافية وحلت بعد ذلك معاهدات أخرى ومساومات أخرى فى السنوات التالية.

ويقول الكاتب الصحفى النيجيرى«روتيمى سونكور» :«إن تقسيم إفريقيا يتعين ألا ينظر إليه كحدث منعزل إنه إستمرار لسياسات سابقة للدول المستغلة، وقد أتى بشكل طبيعى نتيجة ٤٠٠ سنة من العبودية عبر الأطلنطى. إن الثروة التى أوجدت القاعدة للثورة الصناعية فى أوروبا كانت صانعته العبودية عبر الأطلنطى، كانت الصناعات تحتاج إلى المواد الخام والمواد موجودة فى إفريقيا، ولمنع الصراعات التى كانت تنشب حول الثروات الإفريقية انعقد مؤتمر برلين ليمتص إفريقيا ومصادرها».

وفى الحقيقة فإنه فى خلال ٤٠٠ سنة من العبودية عبر الأطلنطى فإن الدول الأوروبية



خاضت معارك مميتة بين بعضها البعض للسيطرة على الثغور الساحلية والقلاع والغابات والأراضى التى كان يقتنص منها الأفارقة العبيد ويشحنون إلى الأمريكات، كانت المدافع الكبيرة توجه إلى البحر لتضرب أى سفن أوروبية تقترب يعتبرها المسيطرون على هذه القلاع سفنًا أوروبية أخرى معادية لهم. وإن تفادى هذه الأمور هو ما جعلهم فى مؤتمر برلين ينشدون منع المعارك بينهم باقتسام إفريقيا.

* * *

تاريخ مؤتمر برلين[1] لا يمكن ذكره إلا مع الاشارة إلى أربعة عناصر وشخصيات أساسية: الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا، والمستكشف البريطانى هنرى مورتون وغيره من المستكشفين، ونهر الكونغو، وأراضى الكونغو التى صارت بعد ذلك بلدى الكونغو، كونغو برازافيل وكونغو ليوبولدفيل(الكونغو الديمقراطية حاليًا D R C).

كانت هناك عناصر وشخصيات أخرى مثل المستشار الألمانى بسمارك الذى استضاف المؤتمر، ومثل حكومتى البرتغال وفرنسا اللتين كانتا تتزاحمان وتتنافسان على حوض الكونغو، وادعاءات ملك بلجيكا ليوبولد الثانى، كل ذلك هو ما أدى إلى الدعوة لعقد المؤتمر ويكون موضوعه الأساسى هو أراضى حوض الكونغو ويكون اسمه الرسمى لدى الألمان «كونغو كونفرانس ـKongo Conferance» وليس الاسم المعروف به الآن«مؤتمر برلين».

انعقد مؤتمر برلين وقت كان الأوروبيون يعتبرون الإفريقيين دون مستوى الإنسانية ودون مستوى البشر ويعاملونهم كالماشية وكقوة إنتاج آلية، وكانت تجارة الرقيق قد استنفدت الطاقات الجسمانية والمعنوية للأفارقة وحطمت أساسهم الاقتصادى، كانت القارة فى أضعف أوضاعها فأقوى أبنائها وبناتها شحنوا بالمراكب إلى أراضى أجنبية على مدى ٤٠٠ سنة متصلة يقدمون العمل العبودى الذى طور أوروبا وأمريكا وبلاد أخرى.

وساعدهم الدور الذى لعبه الملك ليوبولد الثانى وصنيعته المستكشف ستانلى H.M.Stanly كان الملك ليوبولد يشعر بأن بلده الصغير بلجيكا ليس له مستعمرات مثل مالدى جيرانه الأقوياء وهم بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا وهولندا وغيرهم. وقد أنفق الملك ليوبولد وقتًا وجهدًا للبحث عن المستعمرات ولكنه كان سيء الحظ وحيثما توجه كان

(١) New African Magazine 20 ـ P14 ـ Licence To Colonize.February 2010

إما أن يفشل أو يواجه بقوة استعمارية أخرى، وكما جاء فى كتاب «شبح الملك ليوبولد»: «كانت الإمبراطورية الروسية قد امتدت شرقًا حتى المحيط الهادى وفرنسا سيطرت على مناطق أخرى وهولندا على جزر الهند الشرقية، والباقى من آسيا الجنوبية إلى سنغافورة كانت تمت الهيمنة البريطانية عليه. ولم يكن بقى إلا إفريقيا.

**المستكشفون واستكشاف نهر الكونغو:**

هناك ثلاثة مستكشفين كان لهم الفضل فى اكتشاف الغرب لنهر الكونغو وبالتالى احتلال الملك ليوبولد للكونغو، هم ليفنجستون وستانلى وبييردى برازا بالإضافة إلى كاميرون.

**ديفيد ليفنجستون ١٨١٣ـ١٨٧٣:**

هو طبيب ومبشر ومستكشف، قام ليفنجستون بعدة رحلات كبيرة لاجتياز إفريقيا بدءًا من لواندا على الساحل الغربى وصولًا إلى كيمليان على الساحل الشرقى، وفى خلال رحلاته الاستكشافية التى قام بها عام ١٨٧١ تتبع مجرى مياه نهر لوالابا الطويل والهام الذى يشكل المجرى العلوى للكونغو، ولكن ليفنجستون اعتقد أنه امتداد للنيل، وهذا التفكير الخاطئ جعل من إفريقيا الوسطى موضعًا لشغل المستكشفين.

**لوفيت كاميرون:**

اجتاز ليفنجستون إفريقيا من غربها إلى شرقها،ولكن أول من اجتازها من الشرق إلى الغرب هو لوفيت كاميرون، واستغرقت رحلته سنتين ونصف انطلق من باجومويو فى إفريقيا الشرقية ووصل فى نهاية رحلته عام ١٨٧٥ إلى لواندا على الساحل الغربى عند مصب الكونغو،ولكن لم ينجح فى اتباع مجرى نهر لوالابا حتى نهايته.

**هنرى مورتن ستانلى ١٨٤١ـ ١٩٠٤:**

وهو المستكشف الأشهر والأهم فى تاريخ اكتشافات القارة الإفريقية والكونغو بالذات، وهو الرجل الأبيض الوحيد الذى ظل على قيد الحياة عند نهاية الاستكشافات التى قادها على نحو ٩٩٩ يومًا اجتاز فيها إفريقيا. ولد ابنًا غير شرعى فى مدينه ويلز ١٨٤١ وسجلته أمه فى كنيسة سانت هيلارى باسم جون رونالد باستار، وكان يعتقد أن أباه من أهل البلد ومات بسبب الإدمان، كان هنرى مورتن ستانلى أو جون رونالد باستار الابن الأكبر لأم أنجبت خمسة أولاد، وبعد طفولة قاسية ذهب جون إلى الولايات المتحدة عام ١٨٥٩ حيث غير اسمه



عدة مرات فسمى نفسه أحيانًا مورليك وأحيانًا أخرى مورلانك وفى النهاية استقر على اسم هنرى بورتن ستانلى وقد صار جنديًا وبحارًا وصحفيًا ومستكشفًا شهيرًا على شاطئ المحيط الأطلنطى. حصل على لقب فارس فى بريطانيا ثم انتخب عضوًا فى البرلمان.

جاءت أهم محطة فى حياته عام ١٨٦٩ عندما أرسله ناشر صحيفة نيويورك هيرالد إلى إفريقيا ليبحث عن المستكشف ديفيد ليفنجستون الذى انقطعت أخباره لخمس سنوات منذ أن ترك الشواطئ البريطانية ١٨٦٦ فى حملة كبيرة بحثًا عن تجار الرقيق والمسيحيين المحتملين،ومحاولة إزالة ملابسات الغموض حول الأسئلة التى كانت تثار عن شكل بحيرة فكتوريا وهل ينبع منها النيل؟ وهل نهر لولابا الذى اكتشفه ليفنجستون بداية للنيل أو الكونغو أو نيجيريا وأى شيء آخر يمكن اكتشافه، وقد حول الناشر مهمة ستانلى وصرفه عن البحث عن ليفنجستون عندما رأى ما يمكن أن يمده بقصص وأخبار حصرية.

فى عام ١٨٧١ ترك ستانلى الشاطئ الشرقى لإفريقيا وتوغل فى داخل إفريقيا ثمانية أشهر قبل أن يجد ليفنجستون، أسالت التقارير التى كان يرسلها ستانلى عن داخل إفريقيا لعاب القوى الاستعمارية واستغل هو اهتمام الملك ليوبولد الذى سرعان ماجنده لقضيته. يقول هوتشيلد فى كتابه «شبح الملك ليوبولد» إن المستكشفين لإفريقيا صاروا شخصيات عالمية يحتفل بهم وقد طبقت شهرتهم الآفاق واجتازت الحدود مثل نجوم السينما الآن».

ومن ثم فإنه فى عام ١٨٧٥ عندما كان المستكشف كاميرون على وشك أن يجتاز إفريقيا من الشرق إلى الغرب ويحتاج إلى المال قدم له ليوبولد مباشرة مساعدة تبلغ مائة ألف فرنك لم يكن كاميرون فى حاجة إليها لأنه كان فى نهاية رحلته فى المنطقة المعروفة الآن باسم كاميرون.

فى ١٨٧٤ قام ستانلى بحملة أخرى من الساحل الشرقى لإفريقيا فى قافلة ضخمة ليعبر الأراضى الاستوائية للقارة وليكتشف مايمكن كشفه؛الكونغو النيل البحيرات وغيرها. وبعد ثلاث سنوات فى اغسطس ١٨٧٧ وصل ستانلى بصحبة الأفارقة إلى بوما Boma (الآن هى جزء من الكونغو الديمقراطية) وهى على بعد ٥٠ ميل من الساحل الأطلنطى وكان هو الثانى بعد كاميرون فى اجتياز القارة الكبيرة من الشرق إلى الغرب، ولكن على خلاف كاميرون فإن ستانلى بلغ الثغر الخاص بنهر الكونغو العظيم.

فى هذه الرحلة الطويلة الشاقة داخل إفريقيا كان ستانلى مجنونًا بالنهر،وقد تابع طريق النهر ذا الثلاثة آلاف ميل طولًا إلى ثغره فى ما نادى على الشاطئ الغربى، ومن ثم كان هو الأوروبى الذى فعل ذلك وحل الغموض الخاص بهذا الأمر من أين يأتى النهر.

ولكن استانلى لم يكن هو الأوروبى الأول الذى وصل إلى ثغر نهر الكونغو فقد سبقه الملاح البرتغالى ديوجوكاوDio go cao فى عام ١٤٨٢ حيث وصل إلى مصب النهر فى المحيط الأطلنطى، وقد تعجب من حجمه، وذكر كتاب «شبح الملك ليوبولد» إن جغرافى المحيط المحدثين اكتشفوا شواهد جديدة عن قوة النهر الكبير ومصبة فى المحيط، وفى مناطق معينة يبلغ عمقه أربعة آلاف قدم حفرها النهر فى قاع البحر،إنه يصب نحو ٤ , ١٪ مليون قدم مكعب من الماء فى كل ثانية إلى المحيط ولا يفوقة فى ذلك سوى نهر الأمازون».

أدهشت الأوروبيين إمكانيات النهر الضخمة فى النقل وفى مساعدة التجارة، وللنهر أسماء عديدة:«لولابا أو انزاوى أو انزير، وكذلك يسميه الأهالى الإفريقيون الذين يعيشون على شواطئه» «نزير» معناها النهر الذى يبتلع الأنهار الأخرى، (ونزير Nzeroصارت زائير). وكشأن كل الأمور فى إفريقيا فإن الأوروبيين غيروا اسم النهر فصار الكونغو.

إن مجرد رافد واحد للكونغو هو كاساى Kasai يحمل من المياه مايزيد على أكبر أنهار أوروبا وأطولها وهو الفولجا فى روسيا وكذلك رافده أوبانجى، وأغلب حوض النهر يوجد كأرض منبسطة تعلو نحو ألف قدم وتنحدر على بعد ٢٢٠ ميل من ساحل الأطلنطى، ومن ثم فإن النهر يسقط لمستوى البحر على مسافة ٢٢٠ ميل.

**بيير دى برازا:**

عندما جرت عجلات الثروة لصالح الملك ليوبولد ظهرت المعارضة له فى شكل فرنسى لتفسدها عليه، فالمستكشف الفرنسى الإيطالى بيير دى برازا الذى استخدمتة الحكومة الفرنسية ذهب إلى نهر أوجوى Ogowi فى السبعينيات من القرن التاسع عشر وهو مجاور لحوض الكونغو فيما يسمى الآن الجابون، ونجح فى أن يعقد سلسلة من الاتفاقات مع الملك ماكوكو ملك شعب تيكى Teke ـ كتبت هذه المعاهدات كالعادة بلغة لا يستطيع الملك الإفريقى أن يقرأها أو يفهمها ـ منحت مساحات واسعة من الأراضى لدى دى برازا، بوصفة ممثلاً لفرنسا. ولكن المدهش أن الحكومة الفرنسية لم تهتم بما فعل دى برازا ربما لأنه لم يكن فرنسى الأصل فقد كان إيطاليًا تجنس بالجنسية الفرنسية واسمه الأصلى بييترو باولو دى برازا، ولكنه عندما تجنس بالجنسية الفرنسية عرف باسم بيير باول دى برازا.

وبعد أن أُقصى النفوذ الفرنسى عن مصر لصالح بريطانيا ١٨٨٢، فإن الحكومة الفرنسية تحت الضغوط الداخلية تذكرت فجأة أن هناك أرضًا واسعة تحت تصرفها تسمى وسط إفريقيا



أتت إليها بفضل المعاهدات المخادعة التى أبرمها دى برازا مع الملك ماكوكو، وحدث أن جزءًا من هذه الأراضى ادعاها ستانلى للملك ليوبولد وجرى السباق حول أيهما يصير المالك لها.

وفى هذا السياق تذكر البرتغاليون فجأة أنهم أول أوروبيين يدخلون هذه البقاع ١٤٨٢. وهم عندما وصلوا إلى الكونغو أول مرة وجدوا مملكة إفريقية مزدهرة، ذكرها آدم هوتشيلد فى كتابه«شبح الملك ليوبولد»:«رغم ازدراء ثقافة الكونغو اعترف البرتغاليون بأن المملكة كانت متطورة ونامية، وكانت هى من يقود الشاطئ الغربى لإفريقيا الوسطى، تتكون من ما بين مليونين وثلاثة ملايين من الشعب وتغطى منطقة تبلغ نحو ٣٠ ألف ميل مربع، وأجزاء منها تتوزع الآن على دول متعددة بعد أن رسم الأوروبيون خطوط الحدود بطريقة تعسفية لإفريقيا ١٨٨٥».

ومع تعود المطالبات على ذات الأراضى فى حوض الكونغو سارع الملك ليوبولد بأن أرسل مبعوثًا له إلى واشنطن ليكسب الأمريكيين إلى جانبه. وفى إبريل ١٨٨٤ حصل ليوبولد على كسبه الدبلوماسى من أمريكا بأن صرح وزير خارجية أمريكا إن بلاده تعترف بدعوى ليوبولد على الكونغو، وكانت أمريكا أول دولة تعترف بذلك.وفى الجانب الآخر كان الفرنسيون يزعمون رسم الحدود على الخريطة لصالحهم فى حوض نهر الكونغو[١].

**بسمارك المستشار الألمانى الحديدى:**

لم يهنأ ليوبولد إذ ظهر فى الأفق مناوئ آخر هو المستشار بسمارك أوتوفون موحد ألمانيا الذى اهتم اهتمامًا شخصيًا بمسأل الكونغو،وبالتالى أدرج الكونغو فى عالم السياسة الكبرى بعد أن غدت ألمانيا قوة عظمى والبلد الأكثر نفوذا فى أوروبا، فكيف كانت تمتنع عن المشاركة فى المنافسة التى كانت تجرى على الساحة.إن ألمانيا عندما حققت وحدتها ١٨٧١ وأجبرت فرنسا على توقيع معاهدة فرانكفورت زاد حماس الشعب الألمانى وبدأ يتطلع إلى الاستعمار خارج بلاده والبحث عن مستعمرات توفر له المواد الخام التى تتطلبها الصناعات الحديثة، وكانت القارة الإفريقية هى المجال الخصب أمام طموحات الألمان.(وفى غضون عام واحد ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ اصبح لألمانيا أربع مستعمرات وهى تنجانيقا فى شرق القارة، والكاميرون ،وتوجو فى الغرب وناميبيا(جنوب غرب إفريقيا) فى جنوب القارة[٢]

(١) مجلة New African المرجع السابق ص ١٤ـ٢٠.
(٢) المسلمون والاستعمار الاوروبى عبدالله عبد الرازق إبراهيم ـ عالم المعرفة عدد ١٣٩ سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب (الكويت) ص٩.

كان المستشار الألمانى صعب المراس، وقد وصف طلبات ليوبولد بأنها ادعاءات. لم تجر الأمور طيبة لصالح ليوبولد، وكما قال هوتشيلد« لقد تعلم ليوبولد أن محاولاته العديدة لشراء مستعمرة أمر صعب لأن لا أحد يبيع وأنه يتعين أن يغزوها، ولكن هذا الصنيع كان من شأنه أن يزعج الشعب البلجيكى ومعظم القوى الأوروبية، وإذا كان يريد أن يسيطر على أى شئ فى إفريقيا فعليه أن يقنع كل شخص بأن مصلحته هى لخدمة الآخرين».

ومن ثم ففى سبتمبر ١٨٧٦ دعا ليوبولد إلى مؤتمر فى بروكسل حضره ١٣ من البلجيكيين ورجال الأعمال والمعارضين للأنشطة العبودية والعسكريين الذين يؤيدون مسعاه فى الكونغو ويوافقون على إنشاء جمعية إفريقية دولية تدعم ذلك يكون رئيسها الأول هو ليوبولد. واستطاع ليوبولد أن يؤلف قلب بسمارك عن طريق البنك الذى كان يتعامل معه والذى قام بالمشروعات الضخمة فى أوروبا. وفى عام ١٨٨٤ كان ليوبولد قد كسب بسمارك تمامًا إلى جانبه.وكما جاء فى كتاب«شبح الملك ليوبولد»:«لقد ترك بسمارك بنفسه يقتنع بأنه من الخير للكونغو أن تذهب إلى الملك ولدولته الضعيفة لتكون مفتوحة للتجار الألمان أحسن من أن تذهب إلى فرنسا والبرتغال بقدراتها الطموحة أو إلى انجلترا القوية، ومع كسب بسمارك الاعتراف والضمانات لحرية التجارة فى الكونغو فقد وافق بسمارك على الاعتراف بالدولة الجديدة، ولم يكن يعرف النص الكامل لمعاهدات ليوبولد مع الملوك الإفريقيين.

ما ان استطاع ليوبولد أن يقنع بسمارك وأمريكا، فقد بقى على مشكلة مع الفرنسيين والبرتغاليين،ولحسن حظه لم تكن بريطانيا مهتمة بالموضوع المتعلق بحوض الكونغو رغم أن المستكشف الاسكتلندى كاميرون سبق أن اكتشف حوض الكونغو قبل ستانلى، وفى الحقيقة فإن ستانلى رغم أنه كان ينتحل صفة الأمريكى كان يود أن تكون بريطانيا هى من يستعمر الكونغو وليس ليوبولد، ولكن لندن التى كانت تعانى من ركود اقتصادى فى ذلك الوقت ولديها محميات ومستعمرات عديدة فى العالم كله لم تهتم بأن تستعمر منطقة أخرى صعبة المواصلات فى داخلها وطرقها مسدودة بصخور وجزر معوقة.وقد ذكر ستانلى«أنا لا أفهم الإنجليز أبدًا إما أنهم يشكون فىّ ويعتبرون إن لدىّ مصلحة خاصة أو أنهم لم يقتنعوا بكلامى». ولم يستطع ستانلى أيضا أن يثير اهتمام أمريكا باستعمار الكونغو. وفى الحقيقة فإن صحيفة نيويورك هيرالد التى كان يتعامل معها عرضت عليه البحث عن القطب الشمالى. وعلى أية حال فإن هذه الأوضاع مكنت الملك ليوبولد أن يلتقط أنفاسه ويتعامل مع التحدى البرتغالى والفرنسى. ولكن أخبارًا سيئة أتت فى فبراير ١٨٨٤ عندما وقعت البرتغال مع بريطانيا اتفاقية



تعوق سعى ليوبولد عبر الاطلنطى. وقد ذكر هوتشيلد«إن التعطش للأراضى الإفريقية صار قويًا فى أوروبا».ولحل الرغبات المتصارعة ولوضع قواعد اقتسام الفطيرة الإفريقية اقترحت البرتغال على المستشار بسمارك أن يستضيف مؤتمرًا دبلوماسيًا فى برلين لمناقشة هذه الأمور، وكان هذا المؤتمر اسمه كونغو كونفراس«Kongo Conferenze »

قبل انعقاد مؤتمر برلين بخمسة أشهر أعلن بسمارك أنه لن يعترف بالمعاهدة الإنجليزية البرتغالية.وبعث ابنه إلى لندن ليُفهم الحكومة البريطانية أنه جاد، وفى الوقت نفسه أعلن إلحاق المنطقة الممتدة من أنجولا حتى مستعمرة الكاب بألمانيا ثم أرسل الدعوات لحضور مؤتمر برلين.

## ٢. وقائع المؤتمر

افتتح مؤتمر برلين فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ وحضرته ١٤ دولة هى «النمسا والمجر»، وبلجيكا والدانمارك وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا و هولندا والبرتغال وروسيا وإسبانيا والسويد النرويج(توحدتا من ١٨١٤ إلى ١٩٠٥ ) وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية. كانت الدول ممثلة بسفرائها ومبعوثيها وكان اللاعبون الأصليون فى هذا المؤتمر هم البرتغال وفرنسا وبريطانيا وألمانيا، وهم المسيطرون على أغلب مستعمرات إفريقيا فى ذلك الوقت.

يصف هوتشيلد فى كتابه المؤتمر بقوله «فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ فإن ممثلى القوى الأوروبية اجتمعوا على مائدة كبيرة تطل على حديقة مقر بسمارك وقد جلسوا جميعًا أمامهم خريطة ضخمة لإفريقيا وبدأوا عملهم..إن مؤتمر برلين كان التعبير النهائى عن أن عصر الحماس من أجل الديمقراطية له حدوده الواضحة، وإن المسألة لا تتحقق بالتصويت، وحتى جون ستيوارت ميل الفيلسوف الكبير للحرية الإنسانية كان من قبل قد كتب عن الحرية قائلاً:«إن الاستبداد هو الأسلوب الشرعى للحكومة التى تتعامل مع البرابرة مادام الإصلاح هو غايتها». لم يوجد إفريقى واحد على مائدة برلين. وكان الملك ليوبولد الذى لم يحضر المؤتمر فى وضع قوى، وكان على متابعة مستمرة لما يحدث.

**قضية الكونغو:**

قبل الحديث عن وقائع مؤتمر برلين ونتائجه التى غيرت تاريخ إفريقيا لا بد من الحديث عن قضية الكونغو التى كانت السبب الظاهرى لعقد المؤتمر.

تعرف الأوروبيون على الكونغو فى السبعينيات من القرن التاسع عشر على أثر الرحلات

التى قام بها برازافيل ١٨٧٥ ـ ١٨٧٨ وستانلى ١٨٧٤ ـ ١٨٧٧ وأطلق عليه اسم الهند الجديدة الصالحة للتجارة والاستعمار. ومن ثم بدأت المطامع الاستعمارية، كان الجزء الشرقى من الكونغو خاضعًا لسيطرة عرب ومستوطنين من إفريقيا الشرقية ممن يطلق عليهم السواحليين، وهم الذين عاشوا فى منطقة خاضعة لسيادة زنجبار، وقد استطاع أحد هؤلاء حميد المرجبى الملقب بتيبوتيب العربى(١) أن ينشئ مملكة هناك. ولد تيبوتيب فى زنجبار لأب عربى وأم سواحلية، وذهب إلى الكونغو وأسس مملكة فى شرق الكونغو امتدت من ١٨٧٠ إلى ١٨٩٠.

كان اهتمام الأوروبيين منصبًا على الكونغو الغربى بعدما وصل البحار البرتغالى ديوجو كاو إلى مصب نهر الكونغو فى القرن الخامس عشر، وفى خلال القرون اللاحقة أقام البرتغاليون علاقات مع ملوك الكونغو وبشروهم بالمسيحية، وكانت مملكة الكونغو شاسعة تتضمن شمال أنجولا والكونغو حتى الجابون. وبسبب انتشار تجارة العبيد على الساحل الأطلسى تحول هذا القسم من الساحل الغربى لإفريقيا إلى مركز مهم لتجارة العبيد، وبقيت هذه التجارة طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر وكان نصف العبيد تقريبًا يأتون من هذه المنطقة (أنجولا والكونغو). وعندما ألغيت تجارة الرق من المستعمرات البرتغالية ١٨٥٨ ـ ١٨٧٨ ظهرت تجارة المنتجات الزراعية مثل زيت النخيل وبذور زيت النخيل بالإضافة إلى العاج والكاوتشوك، وقد انتشرت المراكز التجارية على طول الساحل الغربى الإفريقى ودلتا الكونغو وشاركت البرتغال فى هذه الغنيمة فرنسا وإنجلترا وهولندا(٢).

وهكذا تأسس فى القرن التاسع عشر عدد من المنشآت الأوروبية على سواحل إفريقيا وتطورت الأمور أن يقوم على تحديد الأوروبيين لرقعة نفوذهم على الساحل من أجل إخضاع دواخل القارة لسيطرتهم حيث كانت سلطة الأوروبيين تنحصر فى الساحل وكان من الممكن أن يكون الوضع على حاله لو لم يطرأ حدث غير عادى وهو ظهور مستعمرة أوروبية من العدم أسسها ليوبولد الثانى ملك بلجيكا بصفته الشخصية لا الملكية اعترفت بحدودها القوى الأوروبية، ونتج عن هذا الحدث وضع مختلف فلم تعد المستعمرات الفرنسية والبرتغالية الساحلية قادرة على التوسع داخل القارة. ونشأ الكونغو الذى سمى بدولة الكونغو الحرة التى

(١) كان تاجر رقيق وهو من أسس الوجود العربى فى الكونغو، وكان له فضل إرشاد وحماية المستكشفين الأوروبيين أمثال برتون وليفنجستون.
(٢) تقسيم إفريقيا المرجع السابق ص١٢٤.



أصبحت فيما بعد الكونغو البلجيكى. كل ذلك نتج عن تسلطات وطموحات سياسية تميز بها رجل واحد هو ليوبولد الثانى الذى لم تطأ أقدامه قط أرض الكونغو(١).

إن قضية الكونغو هى الأغرب على الإطلاق من بين مختلف الأحداث الغربية فى تاريخ إفريقيا؛ ذلك بأن تكتسب بلجيكا وهى إحدى أصغر الدول الأوروبية لإحدى أكبر وأغنى مستعمرات إفريقيا؛ علمًا بأن بلجيكا لم تكن قادرة على احتلال مستعمرة بتاتًا.

فقبل عام ١٨٣٠ لم تكن بلجيكا دولة مستقلة بل كانت تشكل جزءًا من المملكة الهولندية التى تفككت فاستقلت بلجيكا بموجب معاهدة ضمنت حيادها الدول العظمى. وتولى ليوبولد الثانى عرش بلجيكا وكانت طموحاته الاستعمارية لا حد لها. ومن الصعب تحديد التاريخ الذى بدأ فيه ليوبولد التفكير فى إفريقيا، فقد فكر فى ملكية بلجيكية فى الصين أو اليابان أو أمريكا الوسطى أو الساحل الإفريقى، وكان يعتقد أنه يستطيع الاختيار بين إحدى هذه المناطق، وفى عام ١٨٣٣ طرح مشروع إنشاء شركة إفريقية شرقية فى موزامبيق البرتغالية، ولكن هذا المشروع باء بالفشل. وفى هذه الأثناء استرعى انتباهه الرحلات التى قام بها ليفنجستون وكاميرون وستانلى ودى برازا فى منطقة الكونغو.

عندما بدأ ليوبولد يرسم مخططاته الإفريقية ١٨٧٥ كان كل هؤلاء المستكشفين لا يزالون داخل أدغال إفريقيا، وفى ذلك العام عقد فى باريس مؤتمر جمعية الجغرافيا، حضره ليوبولد وفيه طلب الحصول على المعلومات الخاصة باستكشاف القارة الإفريقية، وفى العام التالى ١٨٧٦ عقد ليوبولد فى قصره فى بروكسل ببلجيكا إجتماعًا باسم مؤتمر الجغرافيا تميز بعدد ضخم من الحضور. **تضمن جدول أعماله:**

**١ـ إقامة قواعد للعمل فى زنجبار وعند مصب نهر الكونغو.**

**٢ـ رسم طرق الوصول إلى المناطق الداخلية.**

**٣ـ إنشاء هيئة دولية لتنسيق هذا العمل.**

باشر المؤتمر أعماله دون انتظار ورحب المشاركون بفكرة إنشاء محطات أو مراكز تستقبل المسافرين وتضطلع بدور علمى أى تجميع المعلومات الجغرافية والعرقية، ونال الاقتراح ترحيبًا

(١) تقسيم إفريقيا المرجع السابق ص١٢٧.

وقرر المؤتمر إقامة أربع محطات وإنشاء مؤسسه دولية تسمى «الجمعية العالمية الإفريقية»[(١)] ومقرها بروكسل ويرأسها الملك ليوبولد.

**لجنة دراسة الكونغو الأعلى:**

ولدت الجمعية العالمية الإفريقية بوصفها هيئة عالمية ميتة ولم تخدع كلمة عالمية إلا القليل من الدول حيث كانت بلجيكا هى البلد الوحيد الذى حمل الجمعية على محمل الجد، إلا أن الدولة البلجيكية لم تشأ تحمل أية مسئولية فيما يتعلق بالمشاريع الإفريقية، لذلك لم تقم الجمعية بنشاطات واعتمدت ديناميكية جديدة عندما وصل ستانلى إلى الشاطئ الغربى بعد رحلته الطويله عبر إفريقيا عام ١٨٧٥.

وصل الخبر إلى أوروبا فتحرك الملك ليوبولد على الفور، ووجد فى ستانلى الشخصية التى يمكن أن تحقق أهدافه وعرض عليه الانخراط فى خدمته بأن يقوم باكتشاف الكونغو وإنشاء محطات فيه على أن تتطور هذه المراكز وتتحول إلى منشآت بلجيكية حينما يحين الوقت وتسمح الظروف. وفى نوفمبر ١٨٧٨ عقد اجتماع فى قصر بروكسل تقرر فيه تأليف لجنه دراسات الكونغو الأعلى بهدف إنشاء محطات هناك تقام فيها خطوط نهرية، وكان المفهوم السياسى لتوجيهات ليوبولد يتعلق بدعوة بعض الزنوج الأحرار ليسكنوا فيها ليطال تأثيرها رؤساء القبائل المحيطة ومن ثم تجمع هؤلاء ضمن فيدرالية جمهورية للزنوج الأحرار وتكون تابعة لليوبولد ولا أحد سواه.

كان هذا المفهوم السياسى مبهماً ورآه ستانلى محالًا، ومع ذلك تبنى الفكرة التى تقوم على أنه من الممكن للمحطات أن تعتبر دولًا أو بالأحرى دويلات صغيرة ويكون الاتحاد الفيدرالى مثيلًا للدولة. وفى أغسطس ١٨٧٩ وصل ستانلى إلى الكونغو ووقع أولى المعاهدات التى كلفه ليوبولد بإبرامها.

وعلى الجانب الآخر كان دى برازا المستكشف الثالث للكونغو يجوب الكونغو لحساب وطنه فرنسا، ونجح فى أغسطس ١٨٨٠ أن يبرم معاهدة غيرت مجرى تاريخ الكونغو هى معاهدة برازا ـ ماكوكو، وماكوكو هو لقب يحمله الحاكم الإفريقى الذى كان يسيطر على المنطقة.

(١) نشط الملك ليوبولد الذى أطلق عليه الندل الاستعمارى فى الكونغو بين السنوات التى فصلت مؤتمر بروكسل هذا ومؤتمر برلين ١٨٨٤. وعادت هذه المؤسسة بفائدة كبيرة حيث أتاحت له الفرصة اكتساب هذه الدولة واعتراف الدول بحدودها.



وبموجب هذه المعاهدة تنازل ماكوكو عن أراضيه وعن حقه الوراثى بالسيادة، وأرسل برازا إلى الرؤساء المحليين الذين كان يعتبرهم فصائل للماكوكو بوضع يده على أراضيهم التى تقع على ضفة الكونغو اليمنى باسم فرنسا ورفع العلم الفرنسى عليها، وسلم نسخًا من الأعلام لكى يرفعوها فى قراهم كرمز لتملك فرنسا الأرض، وأقر الرؤساء بالتنازل عن أراضيهم ووقعوا العقد وكان مجموع الموقعين ستة، برازا وخمسة زعماء محليين. وعلى الضفة اليسرى للكونغو كان ستانلى يبرم معاهدات مع الحكام المحليين بين أعوام ١٨٨٠ـ١٨٨٥، خمسمائة معاهدة باسم ليوبولد وجمعيته كانت عبارة عن استمارات نموذجية لملئها وتوقيعها، وبمجرد وضع الزعماء الأفارقة إشارة صغيرة عليها يكونوا قد سلموا سيادتهم لمؤسسة ليوبولد المؤسسة الدولية للكونغو.

وهنا يثور السؤال هل كانت سلطة ماكوكو حقيقية؟ وما هى الأراضى التى كان يسيطر عليها تحديدًا، أم كان شأنه شأن الملوك الذين تصادفهم فى إفريقيا كل خمسة كيلومترات، وهل كان فعلًا الزعماء أو الرؤساء المحليون فصائل تابعة له؟ وماذا كانت تعنى بالنسبة للإفريقيين كلمات وضع اليد وتنازل ونقل السيادة ؟ إن الإفريقيين كانوا يعتبرون تلك المعاهدات مع البيض هى نوع من الاتفاقات التجارية. وقد أبرمت المعاهدات بمواثيق مختومة بالدم وفقًا للعرف الإفريقى، ولم يكن نص هذه المعاهدات فى نظرهم تسليم أراضيهم لغرباء بل لتوثيق علاقة صداقة معهم.

وأيًا كان الأمر فقد شغلت مسألة الكونغو موقعًا متزايد الأهمية على الساحة الدبلوماسية الأوروبية إذ ظهرت البرتغال تطالب بأحقيتها فى الاستحواذ على الكونغو، فالبرتغاليون كانوا أول من وطئت أقدامهم أرض الكونغو، وأول من عقدوا معاهدات واتفاقيات مع أهله منذ القرن الخامس عشر، ومع ذلك كله كان الوجود البرتغالى فى إفريقيا محدودًا جدًّا. وقبل أن تتخذ مسألة الكونغو بعدًا دوليًا ١٨٨٢ شهدت هذه المنطقة تنافسًا بين انجلترا والبرتغال، وكانت بريطانيا ترفض كل مطالبات البرتغال فى الكونغو بحجة أنهم أول من اكتشفوا المنطقة، وكانت ادعاءات البرتغاليين فى نظر بريطانيا معدومة القيمة لأنهم أهملوا الطابع المادى وهو وضع يدهم الفعلى على الأراضى؛ فى حين كان الإنجليز يمسكون بيدهم ورقة رابحة فقد أبرموا معاهدات مع الزعماء المحليين منحوهم بموجب هذه المعاهدات وعدًا بإلغاء العبودية مقابل الاعتراف بسيادتهم ونفى سيادة البرتغال عليها. وباءت بالفشل كل محاولات البرتغال من أجل التوصل إلى اتفاق انجليزى ـ برتغالى حتى ١٨٨١، ولكن فى مطلع ١٨٨٢ تغير الوضع

جذريًا. ما إن وصل إلى مسامع الإنجليز خبر معاهدة ـ برازا ماكوكو حتى بدأت المفاوضات بين إنجلترا والبرتغال وأصبحت الادعاءات البرتغالية تلقى فجأة الترحيب وقدم الإنجليز بعض التنازلات للبرتغاليين بسهولة لتصد الادعاءات الفرنسية عدوة بريطانيا اللدود.

وفى فبراير ١٨٨٤ وقعت معاهدة اعترفت بريطانيا بموجبها بسيادة البرتغال على الساحل الممتد على كل منطقه مصب الكونغو، ولكن هذا الاتفاق وحد جهود كل من ألمانيا وفرنسا وليوبولد لمعارضته، وأحرز ليوبولد تقدمًا على الفرنسيين بفضل العمليات التى قام بها ستانلى، ففى غضون سنة واحدة أبرم ستانلى مئات المعاهدات مع أكثر من ألفى رئيس قبيلة. وفى الوقت نفسه بسط نفوذه الفعلى بتشكيل قوة عسكرية من مئات الجنود وألف بندقية وثمان سفن تجارية، وجر هذه القوة الحربية الكبيرة وراءه صعودًا فى النهر حتى وصل إلى شلالات ستانلى، وفى الوقت ذاته أعلن ليوبولد أن دولة الكونغو الحرة سوف تتمتع بحرية تجارية مطلقة، ولما كان مطلب حرية التجارة أهم مطلب فقد أعطت خطة ليوبولد ثمارها فتخلت إنجلترا عن البرتغال واستقبل المجتمع الدولى الدولة التى أسسها ليوبولد بصفتها دولة من دون جمارك، واعترفت إنجلترا وفرنسا بدولة الكونغو وبحدودها بعد أن وعد ليوبولد بتبنى نظام الحرية التجارية المطلقة فى دولته المستقلة، وبهذا حصل على دعم الانجليز الذين رأوا فيه ضامنًا للتجارة أفضل من هؤلاء البرتغاليين.

وعندما انتهى المؤتمر بالتوقيع على الاتفاق لم يكسب أحد مثلما كسب الملك ليوبولد، وعندما أشير إلى اسم ليوبولد فى احتفال التوقيع وقف الحضور جميعًا مصفقين. وذكر بسمارك فى خطابه الختامى للمندوبين«إن دولة الكونغو الجديدة يقدر أن تكون واحدة من أهم ما أنجزنا فى هذا العمل الذى اجتمعنا من أجله، وأنا أعبر عن أطيب الأمانى لتطورها السريع وأن تحقق الأهداف التى نتوقعها». وبعد شهرين جاءت سفينة تابعة للأسطول البحرية الأمريكية وظهرت عند ثغر نهر الكونغو وأطلقت ٢١ طلقة مدفعية احتفالًا بدولة الكونغو الحرة ورفع علمها الأزرق ذى النجمة الذهبية.

وأخيرًا صار ليوبولد الحاكم الفرد للشعب الذى قدره ستانلى بثلاثين مليون نسمة بغير دستور وبغير رقابة دولية وبغير أن يذهب هو نفسه إلى الكونغو. حصل على مستعمرة تبلغ مساحتها ٨٠ ضعف مساحة بلجيكا تبلغ ٩٠٥,٣٥٥ ميل مربع وأكبر من ١٣ دولة أوروبية معًا هى بريطانيا وبلجيكا وإيرلندا وهولندا والدنمارك والبرتغال وسويسرا وألمانيا وإسبانيا



وإيطاليا وارمينيا وألبانيا(وهذا هو الحجم الكبير لدولة الكونغو) وهى ثالث أكبر دولة فى إفريقيا، القارة التى صارت بفضل مؤتمر برلين مستعمرة فى الأساس لست دول أوروبية: بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا.

## ٣. نص قرارات مؤتمر برلين

نصت إتفاقية مؤتمر برلين التى وقعتها ١٤ دولة فى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ على[١]:

**الفصل الأول يتعلق بحوض نهر الكونغو:**

**ماده ١ :** يجب أن تتمتع تجارة الدول كلها بالحرية الكاملة.

**مادة ٢ :** كل الأعلام بغير تمييز بين الدول لها حرية الوصول إلى كل سواحل الأقاليم.

**مادة ٣ :** كل البضائع أيًا كان مصدرها التى ترد إلى كل الأقاليم تحت أى علم كان بالبحر أم بالنهر أم بالبر يجب ألا تخضع لضرائب أكثر مما يتقرر بوصفه تعويضًا عادلًا عن النفقات لصالح التجارة.

**مادة ٤ :** البضائع المستوردة إلى هذه الأقاليم يجب أن تبقى معفاة فى الاستيراد والنقل، ويمكن تعديل هذا الحكم بعد ٢٠ سنة.

**مادة ٥ :** ليس من حق أيه دولة فى استخدامها لحقوق السيادة فى هذه الأقاليم أن تسمح بمنح احتكار أو ميزة من أى شكل فى مسائل التجارة.

**مادة ٦ :** كل القوى التى تمارس حقوق السيادة أو النفوذ فى الأقاليم المعنية يلزمون أنفسهم بمراعاة مصالح القبائل المحلية وتحسين أوضاعهم المادية والمعنوية والمساعدة فى قمع العبودية وبخاصه تجارة العبيد، ويجب عليهم بغير تمييز فى العقيدة أو الوطن أن يجمعوا كل المؤسسات الدينية والعلمية والخيرية وغيرها، وأن يحموا بعثات التبشير المسيحية والعلماء والمستكشفين وأتباعهم، والملكيات والجماعات كلها يتعين أن يكون مشمولًا بهذه الحماية الخاصة. وإن حرية العقيدة والوعى مضمونة لكل الأهالى بما لا يقل عن الرعايا والأجانب.

**الفصل الثانى: الوثائق الخاصة بتجارة العبيد**

**مادة ٩ :** إن القوى التى تمارس حقوق السيادة والنفوذ فى هذه الأقاليم المكونة لحوض

(١) مجله New African عدد فبراير ٢٠١٠.

الكونغو يعلنون أن هذه الأقاليم لن يكون مسموحًا بأن تكون سوقًا لتجارة الرق أو وسيلة لنقلهم أيًا كان عنصر هؤلاء العبيد. وإن هذه القوى تلزم نفسها بأن تستخدم كل مالديها من إمكانيات لإنهاء تجارة العبيد ومعاقبة من يرتبطون بها.

**الفصل الرابع: النص الخاص بالملاحة فى الكونغو**

**مادة ١٣** : إن الملاحة فى نهر الكونغو بغير استثناء من روافده أو فروعه يجب أن تبقى حرة أمام السفن التجارية للأمم كلها متساوية، وإن رعايا هذه الأمم والدول وإعلامها يجب فى كل المجالات أن تعامل على قدم المساواة التامة، ولا يجوز منح مزية فى الملاحة لأى من الشركات أو الاتحادات أو الأفراد لأى سبب.

**الفصل الخامس: النص الخاص بالملاحة فى نهر النيجر**

**مادة ٢٦** : إن الملاحة فى النيجر بغير استثناء لأى من روافده أو فروعه يجب أن تبقى حرة تمامًا بالنسبة للسفن التجارية من كل الجنسيات المتساوية(كل من بريطانيا وفرنسا التى لكل منها أجزاء فى إقليم النيجر ويخضع لحمايتها يتعهدان بأن تطبقا حرية التجارة على أقاليمها).

**الفصل الخاص بالنسبة للاحتلال الجديد لسواحل إفريقيا**

**مادة ٣٤**: إن أى دولة تسيطر أو تحوزجزءًا من أرض فى سواحل القارة الإفريقية بخلاف ماتحوزه الآن يجب أن تعلن أنها تحت حمايتها وأن يصحب ذلك إعلان لكل الدول الموقعة على هذه الاتفاقية لتمكنها من الاحتجاج على هذا الصنيع إن كان ثمة ما يدعو لذلك.

**مادة ٣٥**: إن الدول الموقعة على هذا الاتفاق يعترف بوجوب قيام سلطة فى الأقاليم المحتلة على سواحل القارة الإفريقية تكون كافية لحماية الحقوق المقررة ولحماية حرية التجارة والانتقال بالشروط المتفق عليها.

**مادة ٣٧**: إن الدول الموقعة على هذا الاتفاق العام تحتفظ لنفسها بالحق فى الاتفاقيات المتبادلة للتعديل والإصلاح وفقًا لما يتبين من الخبرة الجارية.

بتحليل هذه البنود يمكن القول أن المؤتمر نجح فى تحقيق هدفين أساسيين هما:

**أولًا**: قيام دولة كبرى فى قلب إفريقيا الإستوائية (دولة الكونغو الحرة) تكون من الناحية الاسمية مفتوحة لكل الشعوب وبعيدة عن المنافسات الدولية.



**ثانيًا**: وضع أسس التنظيمات الاقتصادية المتعلقة بالمناطق الداخلية للقارة، وهو ما دفع عجلة التكالب الاستعمارى على القارة، هذا التكالب الذى يعنى بالضرورة الاحتكاك بالقوى الوطنية الإفريقية التى كانت هى الأخرى تسعى لإنشاء الممالك الإسلامية وشهدت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر سلسلة من الحروب بين القوى الإسلامية والدول الاوروبية التى سعت للاحتلال الفعلى فى أقاليم القارة حسب قرارات مؤتمر برلين، وكان الصدام أمرًا محتماً ولم يتوقف حتى قيام الحرب العالمية الأولى[1]

## ٤. أسلاب المؤتمر

قبل انعقاد مؤتمر برلين كانت الدول ذات الأثر الفعال فى تلك الفتره هى إنجلترا وفرنسا، والبرتغال التى كانت تدعى السيطرة على مناطق شاسعة منذ أيام مجدها فى فترة الكشوف الجغرافية فى القرن السادس عشر، ولكن احتلالها الفعلى لهذه المناطق لم يكن مؤثرًا. كانت فرنسا قد استقرت فى أوائل القرن التاسع عشر فى الجزائر ثم بدأت تتطلع نحو الساحل الغربى من القارة نحو النيجر وبسطت نفوذها على جزيرة مدغشقر فى الساحل الشرقى الإفريقى. كذلك اتجهت بريطانيا إلى جنوب القارة ومدت سيطرتها على منطقة زنجبار فى الشرق، وتطلعت إيطاليا إلى تونس وطرابلس الغرب وقامت بوضع قدم لها فى منطقة خليج عصب شمال أوبوك.

تلك كانت الصراعات الدولية قبل أن تفجر ألمانيا مشكلة التكالب على إفريقيا بعد الثورة الصناعية التى كانت تتطلب الحصول على مناطق المواد الخام والأسواق لتصريف المنتجات الصناعية، ودخلت بلجيكا حلبة التنافس الاستعمارى للاستيلاء على الكونغو، وكان احتلال بريطانيا لمصر مقدمة لمرحلة التكالب الاستعمارى.

عندما افتتح مؤتمر برلين فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٤، كانت البرتغال واحدة من الداعين الأساسيين له، وقدمت فى افتتاحه ما صار يعرف باسم الخريطة القرمزية(أى الخريطة ذات اللون الوردى) التى تشير إلى أن المستعمرات البرتغالية تمتد من أنجولا غربًا إلى موزمبيق شرقًا وتضم الأراضى الشاسعة التى صارت فيما بعد زامبيا وزيمبابوى مالاوى.

والغريب أن كل الدول المشاركة فى المؤتمر فيما عدا بريطانيا وافقت على أن تكون البرتغال

(١) المسلمون والاستعمار الأوروبى لإفريقيا. د. عبد الله عبدالرازق إبراهيم ـ عالم المعرفة العدد ١٣٩ (سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب (الكويت).

هى الممالك الجديد بهذه الأراضى الشاسعة التى تبدأ من أنجولا على الساحل الغربى إلى قلب القارة الداخلى حتى موزمبيق على الساحل الشرقى. وبالنسبة للأثنتى عشرة دولة الحاضرة فى المؤتمر صار ذلك صفقة منتهية، ولكن إنجلترا كانت لها تخطيطات أخرى.

فى عام ١٨٩٠ أى بعد خمس سنوات من المؤتمر فإن بريطانيا (لندن) أمرت البرتغال لتنسحب من الأراضى الداخلية أو يكون عليها أن تواجه القوة البريطانية العسكرية بكاملها، وقد أطاعت البرتغال هذا الأمر وصارت هذه المنطقة بريطانية ومن ثم قسمت إلى روديسيا الشمالية(زامبيا) وروديسيا الجنوبية (زيمبابوى) ونياسالاند (مالاوى). وقد كانت بريطانيا مهتمة بالأساس باستبقاء مواصلاتها إلى الهند ومن ثم اهتمت بمصر وجنوب إفريقيا. ومع الاطمئنان إلى الوضع فى هذين الإقليمين(مصر وجنوب إفريقيا) بدأت تفكر بدافع من المخطط الاستعمارى سيسل رودس فى أن تحصل على تجميع للأراضى من القاهرة حتى كيب تاون وتقيم سكة حديد بين هاتين المدينتين، ونجحت بريطانيا فى السيطرة على مصر والسودان(السودان المصرى الإنجليزى) والصومال وأوغندا وكينيا(شرق إفريقيا البريطانى) ونياسالاند وروديسيا الجنوبية وبتشوانالاند (بتسوانا) وليسوتو وسوازيلاند وجنوب إفريقيا أى فى الوسط والجنوب الإفريقى، وفى غرب إفريقيا سيطرت بريطانيا على نيجيريا وساحل الذهب (غانا) وسيراليون وجامبيا.

أما فرنسا الرابح الكبير الآخر فقد حصلت على الكثير فى غرب إفريقيا ووسط إفريقيا موريتانيا والسنغال ومالى وغينيا وبوركينا فاسو وكوت ديفوار والنيجر وتشاد وبنين (كل هذه الأقاليم كانت تسمى غرب إفريقيا الفرنسية) وذلك حتى الجابون، وجمهورية إفريقيا الوسطى وكونغو برازافيل • وهذه كلها تكون إفريقيا الاستوائية الفرنسية)، والصومال الفرنسى(جيبوتى حاليًا) فى الساحل الشرقى ومدغشقر فى الجنوب الشرقى.

وبالنسبة للبرتغال فقد فقدت الاراضى الوسيطة ولم يبق لها سوى أنجولا على الساحل الغربى وموزمبيق على الساحل الشرقى، وجزر كيب فيرد Cap Verde فى إفريقيا الغربية.

وألمانيا فى عهد بسمارك وافقت أن تترك إقليم الكونغو الواسع للملك ليوبولد باعتباره ملكية خاصة له وحصلت فى مقابل ذلك على جنوب غرب إفريقيا(ناميبيا الآن)، وفى الشرق الإفريقى تضمنت ممتلكات ألمانيا تنجانيقا ورواندا وبوروندى(وهى الآن تانزانيا ورواندا وبوروندى)، والكاميرون وتوجو، ولسوء حظ الألمان أنهم فقدوا كل هذه المستعمرات الإفريقية بهزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى.



أما إيطاليا فقد أخذت الصومال(الصومال الايطالى) وجزءًا من اثيوبيا؛ فى حين حصلت إسبانيا على إقليم صغير هو غينيا الاستوائية (سمى وقتها ريو مونى Rio Muni، ثم بعد ذلك الصحراء الغربية.

ورغم أن النص الأصلى لمؤتمر برلين تضمن قرارًا «بالمساعدة فى قمع العبودية» فإن القوى الأوروبية لم تلتفت إليه ووجدت أن الاهداف الاقتصادية والاستراتيجية التى تحصل عليها من المستعمرات الإفريقيه هى الأهم باعتبار أن المؤتمر وضع القواعد والأسس التى تجعل الثغور الخاصة بالكونغو ونهر النيجر والأحواض الخاصة بهما محايدة ومفتوحة للتجارة الأوروبية.

ولمنع الاحتيال والتبديد فإن النص الأساسى يطلب من القوى الأوروبية ألا تكون لها مستعمرات إلا ما تستطيع السيطرة عليه فعلًا باتفاقات تجريها مع الرؤساء المحليين أو برفع الأعلام على الأرض وبإنشاء إدارة لهذه الأراضى تستطيع حكمها وقوة بوليس لحفظ النظام. إن القوة الاستعمارية يمكن أن تستخدم المستعمرة من الناحية الاقتصادية، وإذا لم تستطع فعل هذه الأشياء يمكن لقوة أخرى أن تقوم بها وأن تحصل على هذا الاقليم. ولذلك صار من المهم إقناع الرؤساء المحليين بتوقيع اتفاقيات الحماية وإيجاد قوه بوليسية كافية فى المنطقة.

ولإجابة هذه المطالب عملت القوى الأوروبية على إرسال حملات عسكرية تجبر الحكام الأفارقة على توقيع المعاهدات وتستخدم القوة عند الضرورة وكثيرًا ما أدى هذا الأمر إلى وضع الرؤساء الإفريقيين بصمات أصابعهم على معاهدات كتبت بلغات غريبة لم يقرأوها ولم يفهموها.«إن المادة ٣٤ من اتفاقية برلين ذكرت أن أى دولة أوروبية تحوز ساحلًا إفريقيا أو تعتبر نفسها حامية له عليها أن تبلغ القوى المتعاقدة والموقعة على اتفاقية برلين بهذا الصنيع، وإذا لم يحدث ذلك فإن ما أعلنته لا يكون معترفًا به». وهذه الماده أدخلت ما عرف باسم نظرية «مجال النفوذ»، وإن عبارة السيطرة على الساحل تعنى انهم يسيطرون على الأراضى التى خلفه لمسافات غير محدودة. وذكزت الماده ٣٥ «إنه من أجل احتلال منطقة ساحلية فإن القوى الاستعمارية يتعين عليها أن تثبت أنها مسيطرة على السلطة فى هذه المنطقة لتحمى الحقوق المكتسبة بالنسبة للحريات والتجارة والنقل، وهذا ما سمى بنظرية «الاحتلال الفعلى» وهو ماجعل غزو إفريقيا عملية أقل دموية بالنسبة للدول الأوروبية الاستعمارية .. إنها بالطبع أقل دموية بالنسبة للأوروبيين لا بالنسبة للإفريقيين».

## ٥. مضمون مؤتمر برلين

كانت عملية تقسيم إفريقيا تدور بين المنافسة والاتفاقات الثنائية، كان التقسيم يجرى

بالمنافسة بين فرنسا وإنجلترا. وعلى صعيد آخر كانت أوروبا مسرحًا للتنافس الفرنسى الألمانى. وفى أثناء البحث عن حلول لمسألة الكونغو ظهرت الدبلوماسية الجماعية بدلًا عن الدبلوماسية الثنائية مجسدة فى مؤتمر برلين الدولى، فصورة المؤتمر الذى يرأسه زعيم ألمانيا ويجتمع فيه زعماء أوروبا لكى يخططوا لتقسيم قارة بأكملها كانت مدهشة، تم تنظيم المؤتمر تحديدًا بسبب السباق الفوضوى فى القارة من أجل الحصول على أكثر ما يمكن من المستعمرات وامتلاك أكبر ما يمكن من مناطق نفوذ، وحاول المؤتمر تنظيم هذه السيطرة فالمؤتمر كان يناقش الاتفاقات والاعتراف بالدول المستقلة ويعين حدودها بينما الضم الاستعمارى فى إفريقيا كان يتتابع بوتيرة متسارعة، وقد حاول المؤتمرون أن ينجزوا هذه الاتفاقات لكنهم لم ينجحوا سوى فى مناطق الساحل التى كانت كلها محتلة أو معظمها تحت الاحتلال، أما فى الداخل فقد استعر السباق للبحث عن «مناطق نفوذ» ودخل هذا المفهوم القانون الدولى.

**الحجة الأولى** فى مذهب هذا القانون هى مبدأ «المنطقة الداخلية» يرتكز هذا المبدأ على أن أية قوة تطالب بأحد السواحل سيكون من حقها أن تغزو منطقته الخلفية (وقد تم تناول هذا المبدأ فى مؤتمر برلين) والمشكلة الأساسية فى هذا المبدأ أنه ليس معروفًا نقطة البداية ونقطة النهاية فى المنطقة الخلفية. ظهرت طبيعة هذه المشكلة حين طالب الفرنسيون بضم نيجيريا ذاهبين أنها تشكل المنطقة الخلفية للجزائر !. ورفض الانجليز الاعتراف بهذا المبدأ ورأوا أن الفرنسيين والألمان يستخدمونه لمد سلطتهم إلى كل البلدان وحتى القطب الشمالى (وعلى الرغم من ذلك فقد استخدمه البريطانيون فى المباحثات ضد الألمان فى إفريقيا الشرقية).

**والحجة الأخرى** التى جرى استعمالها هى حجة التملك حسب المعاهدات، وقد ظلت هذه المعاهدات والاتفاقات عرضة للاحتجاج والنقض فى إفريقيا من قبل الدول الأوروبية. عبر بسمارك عن هذا الواقع بقوله « من السهولة بمكان أن تحصل فى إفريقيا على قطعة من ورق يخربش عليها رجل أسود». وكان الدبلوماسيون يعرفون جيدًا أن هذه المعاهدات والاتفاقات ليس لها أيه قيمة فعلية. ولم يكن مبدأ «المنطقة الخلفية» ولا مبدأ احترام المعاهدات ذو قيمة وإنما المبدأ الأكثر فعالية هو مبدأ الاحتلال الفعلى.

بعد مؤتمر برلين خرجت المعاهدات الثنائية عن إطارها وتداخلت مطالب القوى الاستعمارية مما حدا بها أن ترسم مناطق نفوذها وحقوقها وهو ما جعل لورد سالسبورى يقول عبارته الشهيرة « لقد اعطينا لبعضنا جبالًا وأنهارًا وبحيرات. فى حين أننا لم نكن نعرف أين تقع



هذه الأشياء بالضبط ولم يثر أية غرابة أو دهشة، وقد تبين فى بعض الأحيان أن جبالًا وأنهارًا وبحيرات لم تكن موجودة أصلًا».

أصبحت المعاهدات مجرد لعبة سياسية ففى خلال الأعوام من ١٨٨١ـ١٩٠٥ عقدت فرنسا وإنجلترا ٤٢٩ معاهدة بشأن الحدود المشتركة فى إفريقيا الغربية وحدها[١]. وشهدت أوروبا سلسلة من المعاهدات والاتفاقات لم تشهد السياسة مثلها فى أى عصر من العصور فشهدت سنوات:

١٨٨٥ : اتفاقًا بين بلجيكا والبرتغال وآخر بين بلجيكا وفرنسا بشأن الكونغو.

١٨٨٦ : اتفاق ألمانيا وإنجلترا بشأن شرق إفريقيا.

١٨٨٧ : اتفاق بين بلجيكا وفرنسا بشأن الحدود فى منطقة الكونغو.

١٨٨٨ : اتفاق فرنسى إنجليزى بشأن الصومال.

١٨٨٩ : نزول الإيطاليين فى الصومال الإيطالى.

١٨٩٠ : اتفاقية تقسيم شرق إفريقيا بين بريطانيا وألمانيا بمقتضاها أصبحت أوغندا من نصيب بريطانيا.

اتفاقًا فرنسيًا بريطانيًا بشأن الصحراء، واتفاقًا بريطانيًا برتغاليًا بشأن اعتراف بنياسالاند.

١٨٩١ : معاهدة انجلترا مع ملك أوغندا، واتفاقا انجليزيًا وإيطاليًا بشأن الصومال.

١٨٩٢ : احتلال أوغندا.

١٨٩٤ : اتفاقا إنجليزيًا إيطاليًا بشأن أريتريا، ومعاهدة بين البرتغال وبلجيكا وإنجلترا بشأن حدود الكونغو، واتفاقًا ألمانيًا فرنسيًا بشأن الصحراء الكبرى[٢].

ترتب على هذه المعاهدات والاتفاقات أن تغيرت خريطة إفريقيا تمامًا وبدأت الدول الاستعمارية تمارس نفوذها الفعلى عقب انتهاء المؤتمر فى فبراير ١٨٨٥. ففى يونيو ١٨٨٥، بدأت بريطانيا تكوين محمية لها فى ساحل النيجر، وفى المنطقة الواقعة بين لاجوس والكاميرون، ثم توسعت شمالًا لتصل إلى الدول الإسلامية فى إمبراطورية الفولانى، وفى جنوب القارة

(١) مجلة New African عدد فبراير ص٢٤.

(٢) الاستعمار الأوروبى لإفريقيا فى العصر الحديث ـ د. زاهر رياض ص٢٤.

توسعت بريطانيا من مستعمرة الكاب شمالًا بإعلان الحماية على بتسوانالاند واعترف بادعاءاتها فى زنجبار وكينيا وأوغندا والروديسيات، وحددت مناطق النفوذ البريطانى فى غرب إفريقيا على أربع مستعمرات هى جامبيا وسيراليون وغانا ونيجيريا.

وفى يونيو أيضًا عام ١٨٨٥ وقُعت اتفاقية ألمانية مع توجو وضعت بمقتضاها توجو تحت الحماية الألمانية.

وعقدت فرنسا معاهدة مع حكومة الكونغو يكون نهر أوبانجى فرع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو، المنطقة الشمالية منطقة فرنسية والمنطقة الجنوبية دولة الكونغو الحرة. ووقعت فرنسا أيضًا معاهدة مع بريطانيا بخصوص نيجيريا مقابل اعتراف بريطانيا بالمحمية الفرنسية فى مدغشقر.

لم تكن هذه الاتفاقيات نهاية التمزيق والتفتيت والخضوع الإفريقى فعلى أثرها اشتعلت الحروب التى عمت أنحاء القارة. وتعد الفترة من عام ١٨٩١ حتى قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ سنوات الحرب فى إفريقيا، شهدت هذه الفترة استعمار السودان للصالح البريطانى والحرب بين إيطاليا والحبشة وحروب جنوب إفريقيا، والحروب بين إمبراطورية التوكرور والفرنسيين، وحروب ساموري مع الفرنسيين، وحروب الشيخ محمد الأمين ضد الفرنسيين، وحروب المجاهدين المسلمين ضد القوى الأوروبية، وصراع محمد عبد الله حسن زعيم الجهاد فى الصومال ضد القوى الأجنبية ورابح فضل الله ضد الفرنسيين فى منطقة تشاد، وكل هذه الحروب حملت فى طياتها الطابع الدينى والجهاد الإسلامى ضد القوى الأوروبية[(١)].

خلاصة القول أن مؤتمر برلين الذى مزق إفريقيا لم يجلب خيرًا لها ولم يطورها. كانت لمخططاته الاستعمارية خلفيات اقتصادية وهى استخلاص ثروات القارة لصالح القوى الاستعمارية. وبالنسبة للإفريقيين الذين أضعفتهم العبودية ونتائجها والحماية الدولية المزيفة ولم يكن ذلك يعنى فقط إنكار حقهم فى تقرير المصير، ولكنه يعنى أيضًا إخضاعهم لآلات الدول الاستعمارية التى أنكرت على الإفريقيين الحق فى استثمار اقتصادهم ومهدت الطريق للسيطرة الإقتصادية للدول الغربية.

*****

(١) المسلمون والاستعمار الأوروبى ـ المرجع السابق ص٣٠.



# الفصل الثالث

## اقتسام الفطيرة الإفريقية

- حمى الغزو.
- الاستعمار الفرنسى.
- الاستعمار البريطانى.
- الاستعمار البلجيكى.
- الاستعمار الألمانى.
- الاستعمار الإيطالى.
- الاستعمار البرتغالى.
- الاستعمار الإسبانى.

## اقتسام الفطيرة الإفريقية

### ١ـ حمى الغزو

كانت الدوافع الاستراتيجية من أهم الدوافع التى حدت بالأوربيين لاستعمار إفريقيا، فأوضاع فرنسا بعد هزيمة بونابرت وعودة الملكية كانت من أهم الاسباب التى دفعت للتفكير فى غزو الجزائر. كذلك الأوضاع الداخلية فى ألمانيا وانتشار حركة التذمر وضغط الرأى العام الألمانى على حكومته لتحذو حذو فرنسا وبريطانيا جعلت بسمارك يغير رأيه بعد أن كان محجماً عن الزج بألمانيا فى ميدان الاستعمار فاندفع إليه ونادى بعقد مؤتمر برلين لبحث كيفية ممارسة الدول الاستعمارية نشاطها الاستعمارى فى إفريقيا دون أن يصطدم بعضها بالبعض الآخر[١].

لقد فتح مؤتمر برلين (الكارثة) الباب على مصراعيه للتنافس والصراع الدولى بين القوى الاستعمارية للاحتلال القارة. ونصت المادة ٣٤ من قرارات المؤتمر صراحة:« إن أى دولة تسيطر أو تحوز جزءًا من أراضى سواحل القارة الإفريقية بخلاف ما تحوزه يجب أن تعلن أنها تحت حمايتها، وأن يصحب ذلك إعلان لكل الدول الموقعة على هذه الاتفاقية لتمكنها من الاحتجاج على هذا الصنيع». وذكرت المادة ٣٥:« إنه من أجل احتلال نقطة ساحلية فإن القوى الاستعمارية يتعين عليها أن تثبت أنها مسيطرة على السلطة فى هذه المنطقة». وإن عبارة السيطرة على الساحل تعنى أنهم يسيطرون على الأراضى التى خلفه لمسافات غير محددة..وبهذه البنود اندلعت حمى الغزو والتنافس الاستعمارى لإفريقيا.

ويمكن القول أن مستقبل إفريقيا تقرر فى مؤتمر برلين، وبه تدشن عصر جديد أنيط به عملية تقسيم القارة بالدبلوماسية الأوروبية، وتحول نشاط القوى الاستعمارية إلى اندفاع محموم لالتهام الفطيرة: فكيف تم ذلك،وكيف التهمت القارة وقطعت شلوًا شلوًا، وما هى

(١) الموسوعة الإفريقية ـ المجلد الثانى تاريخ إفريقيا ـ إصدار جامعة القاهرة اليوبيل الذهبى لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية مايو ١٩٩٧ ص٣٣٢.




الرعب الافريقي ـ ب٣ ـ سمر

الدول التى فازت بالنصيب الأكبر؟ بإيجاز قامت فرنسا وبريطانيا بالدور الرئيسى فى السباق على المستعمرات؛ فى حين شغلت ألمانيا منصبًا ثانويًا ثم لحقتها إيطاليا.

وقد فضلت كل من بريطانيا وإيطاليا وألمانيا أن تلجأ أولًا إلى منح استغلال الأجزاء التى ترنوا إليها شركات تقوم الحكومة بمنحها بعض الحماية والمساعدة المالية، وذلك رغم اختلاف دواعى هذه السياسة، فقد كانت سياسة إنجلترا تتأرجح دائمًا بين حرية التجارة التى يتبعها حزب الأحرار وسياسة بناء الإمبراطورية التى يتبعها حزب المحافظين. بينما لجأت المانيا إلى سياسة الشركات بسبب احجام الحكومة الألمانية عن القيام بمغامرات استعمارية لأنها كانت ترى أن هذه المستعمرات لن تكون إلا عبئًا على ألمانيا الناشئة، كما أنها قد تضطرها إلى الدخول فى حروب تضرها وهى ما زالت فى دور التكوين أكثر مما تنفعها. بينما كانت إيطاليا أفقر من أن تقوم بالمغامرات الاستعمارية، هذا بينما لجأت فرنسا إلى سياسة استعمارية صريحة معتمدة على عطف الدول عليها بعد هزيمتها فى حرب السبعين.

**٢ـ الاستعمار الفرنسى**

كان جوهر الأفكارالإمبريالية الجديدة التى استمدت منها السياسة الرسمية للحكومة الفرنسية الموافقة على أن تضطلع الدول بدور أكبر فى الشئون الاستعمارية. وفى إنجلترا أيضًا بدأت هذه الأفكار تفرض نفسها، ودخلت ألمانيا هذا الصراع بعدما استولت على توجو. واحتدام التنافس حتى أصبح كل علم إنجليزى يجاوره علم فرنسى حتى بات الأمر يؤذن بوقوع حرب بينهما. وبما أن فكرة خوض حرب من أجل صحراء إفريقيا كما كان ينظر إلى هذه المنطقة(منطقة غرب إفريقيا) فقد تمالك المعسكران الفرنسى والبريطانى نفسيهما ووضعا حدًّا لتنافسهما بمعاهدة ١٨٩٨. ويمكن القول أن بريطانيا أول من أثار الاهتمام بإفريقيا الغربية إلا أن فرنسا تمكنت من نشر سيطرتها على هذه المنطقة، وذلك لأن الفرنسيين كانوا يريدون بناء إمبراطورية من خلال غزوات عسكرية؛ فى حين كان الإنجليز يطبقون سياسة الاستحواذ من خلال التجارة، وإذا حصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الأراضى فقد سيطرت إنجلترا على منطقة الأثرى اقتصاديًا[١].

يعود الوجود الفرنسى فى إفريقيا الغربية إلى القرن السابع عشر عندما أسس الفرنسى كولبيه ١٦٥٩ مدينه سان لويس على جزيرة صغيرة على مصب السنغال، وقد أصبح هذا الموقع

(١)



فيما بعد مستعمرة فرنسية. وقام اقتصاد هذه المستعمرة على تجارة العبيد التى يتم الحصول عليهم من الداخل من مناطق تقع خارج منطقة النفوذ الفرنسى. وكان الفرنسيون يخافون من أن يقوم الإنجليز بإرسال حملة بهدف احتلال المنطقة، وأدى هذا الخوف إلى القيام بسياسة التوسع العسكرى التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ إفريقيا. ورأت فرنسا فى السودان الغربى والسنغال «كندا» الجديدة أو الهند الفرنسية التى ستكون تعويضًا متأخرًا لهذه المستعمرات التى تنازلت عنها فرنسا لإنجلترا فى القرن الثامن عشر.

ويطلق اسم السودان الفرنسى أو إفريقيا الغربية الفرنسية على المستعمرات التى تقع فى غرب إفريقيا وهى موريتانيا والسنغال وغينيا وداهومى والنيجر وساحل العاج(كوت ديفوار) وفولتا العليا(بوركينا فاسو). وحتى عام ١٨٥٠ لم تكن هذه المستعمرات أكثر من مراكز تجارية أنشأها تجار بريطانيون وهولنديون وغيرهم. كانت فرنسا على اتصال بتجارها وتزويدهم بالحماية التى يطلبونها إذ كانت معظم المراكز تتعرض لهجمات الأهالى الوطنيين أو بعض الزعماء المحليين، وقد تعرضت هذه المراكز الفرنسية بالوقوع فى يد البريطانيين فى خلال الحروب النابوليونية ( ١٧٩٥ ـ ١٨١٤ ) ولكنها أعيدت إلى فرنسا بعد مؤتمر فيينا ١٨١٥، وأخذت فرنسا منذ ذلك الوقت تتدخل تدخلًا مباشرًا فى هذه المراكز وترسل إليها رسلها ليتصلوا بالزعماء الوطنيين ليعقدوا معهم معاهدات يرضى فيها هؤلاء أن يضعوا أنفسهم تحت الحماية الفرنسية. وظلت هذه السياسة بطيئة حتى منتصف القرن، وظهرت واضحة عام ١٨٥٤ عندما عينت حاكمًا عامًا على إقليم السنغال، ونشطت فرنسا فى نشر نفوذها فى إفريقيا عقب هزيمتها فى حربها مع ألمانيا ١٨٧٠ من أجل استعادة مركزها المنهار وتعويض خسارتها فى إقليمى الألزاس واللورين، وكان ذلك يجرى تحت سمع وبصر الدول الأوروبية الأخرى حيث كانت المانيا منصرفة إلى تدعيم وحدتها وترى فى انشغال فرنسا بشئونها الإفريقية ما يلهيها عن الانتقام. وكانت بريطانيا منصرفة إلى تدعيم تجارتها، ولم تكن قد كونت بعد فكرة واضحة عن استعمار أجزاء من إفريقيا إذ كانت تجد فى إمبراطوريتها التى بنتها فى كندا وجنوب إفريقيا وأستراليا عناء لا فائدة من ورائه.

تم دخول فرنسا إلى غرب إفريقيا عبر سياسة غزو منهجية وحروب دائمة؛ ذلك أن التوسع الفرنسى فى هذا الجزء كان قائمًا على سياسة غزو واضحة، وكان الهدف الاساسى تحويل السنغال إلى مستعمرة لإنشاء إمبراطورية فرنسية كبرى فى غرب السودان تربط المناطق الفرنسية الثلاثة فى إفريقيا الجزائر والكونغو الفرنسى وإفريقيا الغربية الفرنسية؛ لذلك فإن توسعًا من السنغال نحو الشرق باتجاه بحيرة تشاد كان أساسيًا.

أما العنصر الثانى فهو اللجوء المنهجى إلى الوسائل التعاقدية. كان التوسع فى أماكن أخرى بشكل عام يتم بعقد اتفاقيات يقبل بموجبها الزعماء الأفارقة حماية القوى الأوروبية ويتنازلون لها عن سيادتهم، وقد أبرمت اتفاقات كهذه فى السودان الغربى إلا أنها لم تكن ذات قيمة كبيرة فتوسع القوى الأوروبية واجه مقاومة شديدة من الممالك الإسلامية التى كانت قائمة، وكان السودان معدودًا من بين البلدان الغنية والقوية التى تتمتع بجهاز عسكرى صلب وتربطها وحدة فكرية مرتكزة على الإسلام، وإن كانت هذه الممالك الإسلامية لم تتمكن من توحيد قواها فكان الانقسام نقطة ضعفها.

فمن وجهة نظر فرنسا كان المغرب العربى قلب الوجود الفرنسى فى إفريقيا وبذلك تصبح المنطقة السوداء هى الخلفية للإمبراطورية الإفريقية الفرنسية، وهذا يقتضى ربط إفريقيا بعضها ببعض؛ لذا يتعين الانطلاق من الجزائر لتجاوز الصحراء لربط منطقتى الغرب الإفريقى السنغال والسودان الغربى مع بعضها، ثم ربط هذا الجمع بالممتلكات فى إفريقيا الوسطى. باختصار إنشاء أكبر إمبراطورية استعمارية فى العالم، وهذا يقتضى العمل سريعًا على احتلال فعلى لهذه الأراضى وعقد اتفاقات دولية ومعاهدات مع زعماء البلاد الإفريقية واحتلال أراضيهم وبالتالى تجديد الجهود العسكرية[١].

وإذا ما عقد مؤتمر برلين وأباح للدول الغربية الاستيلاء على أجزاء من القارة حتى نشطت السياسة الفرنسية فى غرب إفريقيا واتخذت من السنغال قاعدة للانطلاق نحو المناطق الداخلية، ولم يقتصر النشاط الفرنسى على المناطق الداخلية الواقعة شرقًا وإنما امتد ليشمل منطقة ساحل غينيا حيث نجح الفرنسيون فى تأسيس مستعمرتين مستعمرة داهومى( بنين حاليًا) ومستعمرة ساحل العاج (كوت ديفوار)[٢].

وبادرت فرنسا بإعلان حمايتها على هذه المستعمرات الفرنسية وبإعلان معاهدات الحماية التى عقدتها مع الزعماء المحليين. كانت إنجلترا وألمانيا بدأتا أيضًا بالحصول على المستعمرات ومن ثمّ بدأ الصراع الفرنسى البريطانى الألمانى، وظهر هذا الصراع واضحًا فى التسابق نحو حوض النيل الأعلى حينما قاد الجنرال الفرنسى مارشان حملة حربية من الكونغو الفرنسى (كونغو برازافيل) من أجل الوصول إلى بحر الغزال، إلا أن الدولتين فرنسا وإنجلترا سرعان ما تفاهما

(١) بحوث ودراسات ووثائق فى تاريخ إفريقيا الحديث ـ د. إلهام محمد على ص٨٦.
(٢) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ص٣١٣ ـ ٣٢٩.



على تقسيم المناطق الإفريقية فاعترفت إنجلترا لفرنسا بحدود السنغال، واعترفت ألمانيا لها بحدود داهومى وغينيا، ومن ثمّ انصرفت فرنسا إلى مد النفوذ الفرنسى إلى بحيرة تشاد فخرجت حملة من السنغال لتقابل أخرى من الجزائر وثالثة من الكونغو.

كرست فرنسا جهودها للاستيلاء على تشاد، فأرسلت إلى بحيره تشاد ثلاث حملات، وانطلقت الحملات الثلاث ١٨٩٩ للتخلص من «رابح» سيد المنطقة قائد المقاومة الإفريقى، ووقعت المعركة الحاسمة ١٩٠٠ وانتهت بهزيمة «رابح» وقتله ووقعت المنطقة بين أيدى الفرنسيين، وحققت فرنسا مشروعها الكبير فى تشاد. وأُدرجت عملية سيطرة فرنسا على موريتانيا فى الإطار نفسه، ولم تكن هذه المنطقة المرتبطة نظريًا بالسنغال موضعًا للمطامع فألحقت فرنسا موريتانيا بها بسهولة بموجب معاهدة فرنسية إسبانية. وأدت هذه الجهود إلى إخضاع إفريقيا الغربية لدائرة نفوذ الفرنسيين، وبدت الممتلكات الإسبانيه والألمانية والبرتغالية القليله المنثورة على خريطة إفريقيا الغربية جيوبًا صغيرة فى منطقة النفوذ الفرنسى.

على أن أعظم ما وقف فى وجه فرنسا كانت قوتان كبيرتان هما قوة رابح فى السودان وقوة السنوسيين. كان رابح من أنصار الزبير باشا الذى فتح دارفور تحت إمرة الحكومة المصرية، ولكن الزبير اصطدم مع مصر فاعتقل فى مصر، ومن ثم استقل رابح بجزء كبير من جيش سيده الزبير واتجه نحو الغرب إلى دارفور ثم وداى واتخذ البلاد الواقعة حول بحيرة تشاد مركزًا له وغزا دولتى الباجرمى وبورنو وبنى لنفسه ملكًا مستقلًا ١٨٩٥ فكان لا بد أن يصطدم مع الفرنسيين الزاحفين من الغرب. ووجدت فرنسا فى هؤلاء السلاطين الذين استولى رابح على ولاياتهم عضدًا فضمتهم إليها وبدأ الصدام الذى تقهقر فيه رابح نحو الشرق وتقدم الفرنسيون إلى وداى (تشاد)، واتفق الفرنسيون مع الإنجليز الذين دخلوا السودان المصرى فى يناير ١٨٩٩ أن يقفوا عند حدود دارفور ويتركوا الغرب كله للفرنسيين، وخلص هذا الجزء لفرنسا نهائيًا فأصبح لها سبع مستعمرات هى السنغال وموريتانيا وغينيا والسودان الفرنسى (مالى) وداهومى والنيجر ،ساحل العاج(كوت ديفوار).

**وبالنسبة لإفريقيا الفرنسية الاستوائية** فقد كانت فرنسا فى عام ١٨٣٩ حصلت على حق الإقامة على الضفة اليمنى لنهر الكونغو من بعض الزعماء المحليين، وكان هذا الحق يشمل إقامة حامية لتأمين مصالح التجار الفرنسيين، وفى عام ١٨٤٩ أقيمت مدينه ليبرڤيل فكانت أول مدينه فرنسية،ولكن فرنسا اضطرت إلى ترك المدينة نتيجة لهزيمتها فى الحرب السبعينية ١٨٧٠ ثم عادت ١٨٧٥ إلى الاهتمام بهذا الجزء وأرسلت البعثات الاستكشافية لا ستكشاف

نهر الكونغو التى جدت فى عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين، وغداة مؤتمر برلين أعلنت بلجيكا قيام دولة الكونغو الحرة فأعلنت فرنسا قيام الكونغو الفرنسى (كونغو برازاڤيل)، وأخذت تمد حدود الكونغو الفرنسى إلى الشمال بعقد المعاهدات مع الزعماء المحليين حتى وصلت إلى بحيرة تشاد. وفى عام ١٨٩٧ احتدمت المنافسة بين بريطانيا وفرنسا من أجل منطقة أعالى النيل فخرجت حملة فرنسية من فرنسا الاستوائية بقيادة مارشان بغرض الوصول إلى أعالى النيل، ووصلت الحملة إلى فاشوده حيث رفعت العلم الفرنسى، ولكن وصول الحملة البريطانية المصرية لاسترداد السودان ١٨٩٨ أدى إلى انسحاب فرنسا بعد مفاوضات بين الطرفين[1]. وبعد الحرب العالمية الأولى ضمت فرنسا إليها محمية الكمرون التى كانت تابعة لألمانيا حتى ١٩١٦.

**وفى الجزائر** التى تعد من أقدم المستعمرات الفرنسية فى إفريقيا بعود الاهتمام الفرنسى بها إلى أزمان بعيدة كان البحر المتوسط هو طريق التجارة بين الشرق والغرب منذ العصور القديمة وفى العصور الوسطى، وكان القراصنة من جميع الأجناس يسيطرون عليه، وفى عام ١٨١٥ حاولت الدول المجتمعة فى ڤيينا أن تضع حدًا لاعتداءات القراصنة فاتخذت قرارًا بوجوب القضاء على القراصنة، فعولت فرنسا أن تقوم بتأديب هؤلاء خاصة أن الأسطول الفرنسى لم يكن لديه قواعد تطل على البحر فى حين كان الأسطول البريطانى يمرح بين أجزائه بعد أن استولى على جزيرة مالطة عام ١٧٩٨ وأصبحت موانى تركيا ومصر فى الشرق مفتوحة أمامه بفضل الصداقة التركية البريطانية، فأرادت فرنسا أن تستولى على الجزائر لتتخذ من شواطئها قاعدة بحرية، فأرسلت حملة بحرية إلى سواحل البحر واستولت على مدينة الجزائر ١٨٣٠، وحتى عام ١٨٣٤ لم تكن فرنسا قد استولت على أكثر من ثلاث مدن ساحلية منفصلة عن بعضها، وذلك لمقاومة الأهالى الذين تجمعوا تحت قيادة الأمير عبد القادر الجزائرى، وقد اضطرت فرنسا فى فبراير ١٨٣٤ إلى عقد معاهدة اعترفت بسلطة الأمير فى الداخل، ولكن تجدد القتال مرة أخرى ١٨٤٠ واستمر سبع سنوات حتى اضطر الأمير التسليم عام ١٨٤٧.

**وبالنسبة لتونس** فقد كانت مطمع كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، كل منها كانت تتصارع من أجل الحصول عليها، وجعلها مركزها الجغرافى فى متوسط البحر الأبيض قريبة الاتصال بإيطاليا حيث كانت إيطاليا تود الاستيلاء عليها وتأسيس مستعمرة بها لأنها أقرب البلاد إليها.

---

(١) الاستعمار الأوروبى لإفريقيا ـ المرجع السابق ص٧٢ ـ ٧٤.



كذلك كانت فرنسا تنظر إلى تونس كخطوة تالية لها بعد استيلائها على الجزائر ١٨٣٠ وتراها امتدادًا للجزائر، وانتهزت مبررًا للغزو باعتداء قبائل من البدو على بعض جنودها واحتلت تونس ١٨٨١ ووضعتها تحت الحماية الفرنسية.

**وفى مراكش** ( المغرب) بدأت فرنسا تتطلع إليها منذ أن احتلت الجزائر، ولكنها لم تبدأ خطواتها الجدية إلا بعد ١٨٨١ حيث انتهت من احتلال تونس. وفى ذلك الوقت كان هناك أكثر من دولة تتطلع إليها مثل إيطاليا التى ساءها احتلال فرنسا لتونس، وإسبانيا التى تواجهها على الناحية الأخرى من البحر، وإنجلترا التى تسيطر على جبل طارق والتى احتلت مصر ١٨٨٢، وكذلك ألمانيا التى بدأت تتطلع إلى المستعمرات، فبدأت فرنسا سلسلة من المعاهدات تؤمن لها طريقها فعقدت مع إيطاليا اتفاقًا يطلق يدها فى مراكش نظير إطلاق يد إيطاليا فى طرابلس الغرب، ومع إنجلترا نظير إطلاق يدها فى مصر، وأخرى مع إسبانيا يبيح لفرنسا احتلال مراكش إذا تركت جزءًا منها لإسبانيا. وأدرجت عملية سيطرة فرنسا على موريتانيا فى الإطار ذاته، لم تكن هذه المنطقة المرتبطة نظريًا بالسنغال موضعًا للمطامع. وفى ١٩٠٠ ألحقت بفرنسا ولكن لم يهتم الفرنسيون جديًا إلا بها بعد سنوات عديدة.

**وفى مدغشقر** لم يكن لفرنسا مصالح تجارية فى شرق إفريقيا تدافع عنها، ولم تكن تطالب بأراضى فى الضفة الشرقية الإفريقية، ولم تكن لديها منشآت أو وجود كما كان لإنجلترا، باختصار لم يكن هناك سبب يدعو لنفوذ فرنسى فى شرق إفريقيا، ولكن بما أن القسمة هى لعبة تشترك فيها القوى العظمى وفرنسا تشكل جزءًا من تلك القوى فإنها شاركت فى تلك اللعبة.

وبإسم الحق التاريخى طمحت فرنسا فى الحصول على جزيرة مدغشقر، فقد كان لويس الثالث قد وضع يده على الجزيرة فى القرن السابع عشر ثم تنازل عنها. وفى القرن التاسع عشر كانت مدغشقر جزيرة مستقلة تسمى الجزيرة الكبرى حيث كانت مساحتها تساوى مساحة فرنسا وبلجيكا مجتمعين، كما كانت فرنسا سبق أن وضعت يدها على بعض الجزر الصغيرة المنتشرة قبالة السواحل المدغشقرية.

عندما طالبت فرنسا أن تكون مدغشقر محمية لها رفضت حكومة مدغشقر الرضوخ لمطالبها، وكان فى الجزيرة مملكة تعد من إحدى الممالك الكبرى التى كانت موجودة فى تلك الحقبة التاريخية التى تم فيها اقتسام إفريقيا. وانتهزت فرنسا مقتل أربعة من رعاياها فى الجزيرة فتحرك الأسطول الفرنسى فى مياه مدغشقر الإقليمية وأخذ يقصف سواحلها، وحل النزاع

بتوقيع معاهدة تاما تاق ١٨٨٥ . وكانت هذه المعاهدة مثيرة للاستغراب لأنها نصت على أن فرنسا تعترف بسيادة الملكة رانا فالونا الثالثة على الجزيرة بأكملها فى حين أنها لم تكن تملك أصلًا هذه الصلاحية. وبالإضافة إلى ذلك فإن مدغشقر وفقًا لهذه المعاهدة عهدت إلى مقيم فرنسى لإدارة علاقاتها الخارجية وبهذا تكون قد قبلت الحماية.

أثارت هذه المعاهدة جدلًا ولكن بعد خمس سنوات اعترفت بها بريطانيا وألمانيا وتم توقيع معاهدة غدت بها مدغشقر محمية فرنسية مقابل اعتراف فرنسا بحماية بريطانيا على إفريقيا الشرقية البريطانية (كينيا) وألمانيا على إفريقيا الشرقية الألمانية (تنجانيقا).

وعلى الساحل الشرقى الإفريقى أيضًا حصلت فرنسا على الصومال الفرنسى (جيبوتى) عندما ابتاعت الحكومة الفرنسية ميناء أوبوك من مشايخها عام ١٨٨٣ .

الخلاصة أن فرنسا دخلت السودان الغربى عبر سياسة غزو منهجية وحرب قائمة بشكل مختلف عما كان يتخلله مشروع تقسيم إفريقيا؛ ذلك أن التوسع الفرنسى فى هذا الجزء كان قائمًا على سياسة غزو واضحة، كان الهدف الأساسى تحويل السنغال إلى مستعمرة إلا أن مشروعًا أكثر توسعًا حل محل المشروع الأول بهدف إنشاء إمبراطورية فرنسية كبرى فى غرب السودان تمتد من السنغال إلى بحيرة تشاد لتربط المناطق الفرنسية الثلاثة فى إفريقيا وهى الجزائر فى الشمال والكونغو الفرنسى (كونغو برازا ڤيل) فى إفريقيا الوسطى وإفريقيا الغربية الفرنسية ( السنغال) هذه الاستراتيجية بدأت تفرض نفسها فى أوساط المستعمرين الفرنسيين، وأعطت دفعًا لسياسة الغزو التى اعتمدتها فرنسا فى السودان، كانت سياسة التوسع فى السودان سياسة موجهة ومخطط لها من قبل الدولة الفرنسية، فلم يكن العلم الفرنسى يتبع التجارة كما كان سائدًا بل العكس تمامًا كانت فرنسا تتصرف فى إفريقيا كدولة دخلت بالقوة الأراضى الإفريقية على أمل أن تتبع التجارة لها.

أما العنصر الثانى للاستعمار الفرنسى فهو اللجوء المنهجى إلى الوسائل الحربية، كان التوسع فى أماكن أخرى يتم بعقد اتفاقيات يقبل بموجبها الزعماء الأفارقة حماية القوى الأوروبية ويتنازلون لها عن سيادتهم. وبما أن الفرنسيين كانوا رجال حرب شرسين فلم يلجأوا إلى الطرق الدبلوماسية واستعملوا القوة المباشرة، ولم تربح فرنسا تلك الحروب بسهولة ليس فقط بسبب مقاومة الأهالى الوطنيين بل بسبب طبيعة الأرض غير الممهدة والمناخ القاتل الذى يسود المنطقة. كما كان السودان الغربى ساحة لتمرين الضباط والكثيرون منهم بنوا مستقبلهم



المهنى فى تلك المنطقة، فالعديد من المارشالات والجنرالات الفرنسيين المعروفين بدأوا حياتهم العسكرية فى الاشتراك فى حروب الممالك الإفريقية فى إفريقيا الغربية[1].

كان الفرنسيون يريدون بناء إمبراطورية من خلال غزوات عسكرية؛ فى حين كان الإنجليز يطبقون سياسة فرق تسد من خلال التجارة؛ لذلك حصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الأراضى وسيطرت بريطانيا على المنطقة الأثرى اقتصاديًا.

### ٣ـ الاستعمار البريطانى

من المعروف أن القارة الإفريقية شهدت فى الفترة ما بين ١٨١٥ـ١٨٨٠ نوعًا من الثبات النسبى فيما يتعلق بغزو القارة، فإذا أغفلنا طرفيها الشمالى والجنوبى نجد أن هذا الثبات **يرجع إلى ثلاثة عناصر رئيسيةهى:**١ـ تقلد بريطانيا الزعامة البحرية فى تلك الفترة ٢ـ عدم اهتمام الدول الأوروبية باستثناء فرنسا وبريطانيا بالقارة ٣ـ وجود صيغة مقبولة للتعايش الإنجليزى الفرنسى دامت على مدى الفترة من ١٨٤٥ إلى ١٨٧٥، ولكن بحلول ١٨٨٥ كانت عناصر التوازن الثلاثة قد انهارت، فالزعامة البريطانية بدأت تأخذ فى التدهور الأمر الذى شجع فرنسا على التخلى عن صيغة التعايش وبدأت بالمبادرة بسياسة التنافس فى غرب إفريقيا، وحمل الجنود والمستكشفون الفرنسيون العلم الفرنسى إلى غرب القارة، وقبل حلول عام ١٨٩٣ أصبحت المنطقة الغنية بالغابات بين ليبيريا وساحل الذهب (غانا) تسمى جمهورية ساحل العاج الفرنسى، وأصبحت داهومى عام ١٨٩٢ تحت السيطرة الفرنسية.

هذا بينما كانت بريطانيا تكتفى بسياسة التفوق فى النفوذ مهربًا من التورط فى نزاعات داخلية محلية، فلم تكن لبريطانيا أيه ممتلكات فى منطقة النيجر، ومع ذلك كانت مصالحها مصونة بتفوقها البحرى؛ على أنه لم يكد يحل عام ١٨٨٢ حتى كان هذا العنصر من عناصر التوازن قد اعتراه الخلل وأصبح مجموع سفن الأسطولين الفرنسى والألمانى يضارع مالدى بريطانيا.

وكان من المفترض أن يبدأ تقسيم إفريقيا من إفريقيا الغربية وهى المنطقة التى أقامت معها أوروبا علاقات طويلة الأمد أكثر من غيرها من بقاع إفريقيا. ولكن لم يبدأ الجدال الدولى حول إفريقيا الغربية إلا سنة ١٨٨٤ إثر مؤتمر برلين، واستحوذت فرنسا وإنجلترا وحدهما

(١) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ص٣١٣ ـ ٣١٥.

على المنطقة، وتم التوسع الفرنسى من الغرب إلى الشرق وتمحور حول السيطرة على النيجر العلوى، أما التوسع البريطانى فامتد من الجنوب باتجاه الشمال وتركز على النيجر السفلى. وركزت بريطانيا بسبب طبيعتها البحرية وخبرتها الاستعمارية على أن تختار منطق نفوذها فى مخارج الأنهار الكبرى (مصب النيجر فى نيجيريا ونهر الفولتا فى غانا وجامبيا). وتحت ستار محاربة الرق استطاع البريطانيون التوغل فى الأنهار الافريقية وعقدوا المعاهدات مع الزعماء والرؤساء المحليين وفرضوا حمايتهم وتدخلوا فى الاقطار الإفريقية بحجة ضمان تنفيذ قوانين إلغاء الرق والنخاسة[1].

لذلك بينما كانت فرنسا تنشئ إمبراطورية السودان الغربى كانت إنجلترا تركز دعائم مستعمراتها الأكثر أهمية فى غرب إفريقيا وهى نيجيريا، وكانت نقطة البداية من الساحل فى الدلتا الهائلة التى تتشكل من نهر النيجر وروافده، وبرغم وعورة أرضها فقد أصبحت هذه المنطقة أكبر مركز تجارى فى إفريقيا الغربية منذ عام ١٨٣٠ بفضل تجارة زيت النخيل، فدواخل البلاد كانت غنية بالزيت وسمحت مجارى المياه بالوصول إليه بسهولة مما حدا بإنجلترا أن تطلق على هذه المنطقة تسمية «أنهار الزيت». وكانت منطقة أنهار الزيت إحدى مراكز النشاط التجارى التى استخدمتها بريطانيا، أما المركز الآخر فهو مملكة لاجوس الواقعة إلى الغرب، وكانت هذه المملكة مهمة للبريطانيين لسببين: **الأول** ممارسة تجارة العبيد **والثانى** أرباح زيت النخيل، وقد لعب الأفارقة دورًا مهمًا فى تجارة زيت النخيل ولم يسمحوا للأوروبيين بإقامة علاقات تجارية مباشرة فى دواخل البلاد؛ لذلك كان الأوروبيون يقيمون علاقاتهم مع منتجى الزيت عبر وسطاء أفارقة يحتكرون دور الوسيط فى النظام التجارى، وإلى جانب منطقة أنهار الزيت أقنع البريطانيون ملك لاجوس بالتخلى عن مملكته مقابل راتب سنوى، فاحتلت بريطانيا لاجوس ووقعت معاهدة حماية معها، وأصبحت لاجوس من الممتلكات البريطانية عام ١٨٦١.

احتدم التنافس بين فرنسا وبريطانيا، واتبعت بريطانيا سياسة الشطرنج أى أن تقيم مؤسسة بريطانية إلى جانب كل مؤسسة فرنسية. وكادت الأمور تؤذن بحرب، ولكن ما من أحد كان يرغب فى دخول حرب من أجل «صحراء إفريقية تتفشى فيها الملاريا» حسب تصوره، وبالتالى

(١) تجارة العبيد فى إفريقيا ـ عايدة العزب موسى ـ مكتبه الشروق الدولية ص١٩٠.



تماسك المعسكران ووضعت فرنسا وإنجلترا حدًّا لعشرين سنة من التنافس بينهما فى الغرب الإفريقى[1].

كانت اتفاقية التسوية هذه قد عقدت فى ١٠ أغسطس ١٨٨٩ وهى التى حددت الحدود بين الممتلكات الفرنسية والبريطانية فى غرب إفريقيا حيث تناولت المادة الأولى تحديد حدود جامبيا والسنغال، ،والمادة الثانية خاصة بتحديد حدود مستعمرة سيراليون البريطانية وغينيا الفرنسية، والمادة الثالثة خاصة بساحل الذهب البريطانية ومستعمرة ساحل العاج الفرنسية، والمادة الرابعة خاصة بساحل العبيد وتحديد الحدود مع مستعمرة لاجوس البريطانية وداهومى، والمادة الخامسة تكونت بقتضاها لجان بحث تحديد الحدود بين ممتلكات الدولتين. ولكن ليس معنى هذا أن اتفاق ١٠ أغسطس ١٨٨٩ كان هو الأخير لتحديد الحدود بين الدولتين فقد تبعه عقد عدة اتفاقيات أخرى اتخذت من الأنهار والبحيرات نقاطًا لتحديد الحدود[2].

تجسد جوهر تقسيم إفريقيا الغربية فى المعاهدة الفرنسية البريطانية عام ١٨٩٨ ولم يبق أمام إنجلترا سوى عملية تنظيم نيجيريا فألحقت محمية ساحل النيجر (دلتا النيجر) بالنيجر الأدنى وأعيد تسميته بمحمية نيجيريا الجنوبية، ومنها ظهر أسم نيجيريا ووضع شمال نيجيريا تحت سيطرة بريطانيا بعد أن ترجم نظام الحماية البريطانية على أرض الواقع وضمت لاجوس لجنوب نيجيريا، وبذلك أصبحت نيجيريا تتألف من ثلاثة أجزاء.

ما كادت نيجيريا تستقر حتى ظهرت أزمة النيجر، كانت الحكومة البريطانية مترددة فى موقفها تجاه النيجر، فقد كانت تخشى التبعات المالية والسياسية؛ فى حين كان التجار البريطانيون يمارسون ضغوطًا لكى تنحل قوة الوسطاء الأفارقة بفعل تدخل عسكرى، وفى عام ١٨٨١ أسست الشركة الإفريقية البريطانية التى سيطرت على النيجر السفلى وأصبح به عشرون قاعدة عسكرية متمركزة فى نهر النيجر، وفى عام ١٨٨٣ وقعت معاهدات وصاية مع رؤساء القبائل بلغت ثلاثًا وسبعين معاهدة. ولكن الادارة البريطانية تباطأت فى أن تأخذ الأمر بشكل جاد، وفى تلك الفترة ظهرت ألمانيا وأمر بسمارك قنصله بالذهاب إلى ساحل إفريقيا الغربى وإبرام معاهدات فى توجولاند ثم اجتاز نهر الكاميرون وعقدت المانيا معاهدة وصاية معها؛ لذلك صُدم الإنجليز عندما علموا أن الألمان سبقوهم.

أجج سباق المعاهدات بين الإنجليز والألمان الحزازات بين الفريقين، ولكن لم تكن القضية

(١) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ص٣٥٥.

(٢) بحوث ودراسات ووثائق فى تاريخ إفريقيا الحديث ـ المرجع السابق ص١٧٢.

تستوجب حربًا، فاتفق الطرفان فى برلين ١٨٨٤ على أن تنال ألمانيا الكمرون وبريطانيا النيجر، وأعلنت الحكومة البريطانية وصايتها على النيجر. ووفقًا لقواعد مؤتمر برلين لم تكن الوصاية تكفى فالمهم هو الاحتلال الفعلى داخل البلاد، فوجدت بريطانيا نفسها منخرطة فى مسألة النيجر فى مواجهة الأطماع الفرنسية المستميتة حوله. وتعقدت الأمور أكثر عندما عقدت بريطانيا مع ألمانيا معاهدة «زنجبار ـ هيلفولند» فاحتج الفرنسيون الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم يملكون حقوقًا فى زنجبار، وأدت هذه الاحتجاجات إلى مفاوضات إنجليزية فرنسية انتهت عام ١٨٩٠ باتفاق فرنسى بريطانى اعترفت فيه فرنسا بالوصاية البريطانية على زنجبار وبالمقابل اعترفت إنجلترا لفرنسا بالوصاية على مدغشقر.

**أزمة فاشودة:**

على أن أهم ازمة قامت بين الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا وكادت تعصف بالوفاق البادى على السطح هى أزمة فاشودة.استمدت العداوة الانجليزية الفرنسية أصولها من احتلال إنجلترا لمصر ١٨٨٢ وبلغت هذه الخصومة أوجها، وأوشكت على اندلاع الحرب فى فاشودة. وفاشودة منطقة بسيطة تقع على الضفة العلوية للنيل الأبيض تأسست عام ١٨٥٥ كمحطة مصرية لمراقبة مكافحة تجارة العبيد.

وخططت السياسة الانجليزية أن تستأثر بمصر ثم النيل والسودان ورفضت فرنسا هذا المخطط وأرادت إجبار الانجليز على إعادة طرح القضية المصرية على بساط البحث، فعملت على ممارسة ضغوط عسكرية بالاستيلاء على موقع متقدم على النيل وزحفت باتجاه النيل إلى فاشودة.

فى عام ١٨٨٩ أعلنت إنجلترا أنها تنوى البقاء فى مصر وبالتالى عليها أن تسيطر على النيل، وبذلك تحولت مسألة السيطرة على وادى النيل هى هدف أساسى من أهداف السياسة الإنجليزية، ورفض الفرنسيون رفضًا باتًا الاعتراف باحتلال إنجلترا لمصر والاحتكار البريطانى لحوض النيل، فمنذ وضع نابليون بونابرت قدميه فى مصر أصبحت مصر بمثابة الأرض الموعودة للفرنسيين، ثم ظهرت أطماع طرف ثالث هو ليوبولد ملك بلجيكا فبعد أن اعترف له بدولة الكونغو المستقلة طمع أن يؤسس إمبراطورية تربط الكونغو بالبحر الأبيض من خلال النيل ، وأعد حملة بنية التوجه نحو النيل إلا أن بريطانيا رفضت أى تجاوزات لحظ تقسيم المياه بين الكونغو والنيل ، فاتجه ليوبولد إلى فرنسا لإستدراجها للوقوف إلى جانبه



لتحقيق ما يرغب، إلا أن فرنسا استغلت فكرة ليوبولد لتحقيق أهدافها هى وجهزت حملة تتجه إلى النيل العلوى.

اعتبرت إنجلترا هذا التحرك عملًا عدائيًا للسيطرة على منطقة كانت تصفها بأنها بلد «المستنقعات والحمى»، ولكن هذه المنطقة اكتسبت أهمية خاصة بعد أن دخلت السودان فى دائرة النفوذ البريطانى؛ إذ كانت بريطانيا تحلم بإنشاء سكة حديد تصل بين الكاب والقاهرة فتحكم السيطرة على القارة بالطول والعرض[1]، وكادت أزمة فاشودة أن تؤدى بالدولتين إلى مواجهة عسكرية، ولكن لما كانت سياسة التقاسم فى إفريقيا تقوم على أساس« التبادل والتعويض» فقد قبلت فرنسا الانسحاب من فاشودة وقبلت تمركز بريطانيا فى مصر شرط أن تطلق يد فرنسا فى المغرب، وهكذا أدت فاشودة إلى إعادة التفاهم الودى والتقاسم الاستعمارى[2].

وبالنسبة لشرق إفريقيا كان الأمر مختلفًا، كان الساحل معرضًا للغزاة الأجانب وفى طليعتهم البرتغاليون والهولنديون والإنجليز والألمان، وقد اتخذت بريطانيا من محاربة الرق بتفتيش سفن الدول الأخرى ذريعة لتوطيد نفوذها فى هذا الجزء من إفريقيا فقد كانت قد عقدت العزم أن تستأثر به.

كان شرق إفريقيا جزءًا من منطقة النفوذ التابعة لسلطان جزيرة زنجبار منذ أن قدم من مسقط وعمل على إنماء دولته بتشجيع قدوم التجار الأجانب إليها سواء كانوا من الهنود أو الأوروبيين، ولكن التجار العرب الذين يعيشون على هذه السواحل منذ القدم كانوا عصب هذه التجارة، وقد استطاع السلطان أن يمد نفوذه إلى المنطقة الخلفية للساحل حتى البحيرات الكبرى وترك شعوبها فى الداخل يقررون مصيرهم بأنفسهم.

كان النفوذ البريطانى فى دوائر السلطان قويًا إلى حد أن كانت بريطانيا تستطيع أن تحكم كل بلاد السلطان إذا أرادت فقد كان نفوذها سابقًا لكل ما عداه وإن لم يعلن ضم رسمى أو حماية لأى جزء من أملاك السلطان. ولما مات السلطان سعيد اشتد التنافس البريطانى الفرنسى فتخلت بريطانيا عن حليفها سلطان زنجبار الوريث ونشأ حكم ثنائى إنجليزى فرنسى انتهى باتفاق تم بينهما بأن تستحوذ بريطانيا على جزيرة زنجبار الصغيرة مقابل أن تحتل فرنسا جزيرة مدغشقر الكبيرة[3].

(١) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ص٣٧١.
(٢) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ص٤١٥.
(٣) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ص ٢٣٠.

وعلى أراضى الساحل كانت إنجلترا قد حصلت من سلطان زنجبار على حق السماح لشركة شرق إفريقيا البريطانية بالعمل فى كل أراضى السلطان، وعلى المنطقة التى تمتد وراءها فى منطقة البحيرات وأن يكون لها حق المندوبين لحكم المديريات باسمه وأن تعقد المعاهدات مع الزعماء والمشايخ لقاء جُعل من الأرباح التجارية تدفعه الشركة للسلطان.

وعندما اشتد الصراع البريطانى الألمانى الفرنسى حول هذه الممتلكات لجأت الدول الثلاث إلى تأليف لجنة حتى لا يتطور التنافس إلى نزاع مسلح، وانتهت اللجنة إلى أن سلطة السلطان تمتد إلى عشرة أميال فقط من الساحل وما وراء ذلك فهى سلطة اسمية ومن ثم تملك هذه الدول الأوروبية حرية العمل فيها، ولما كانت فرنسا قد ارتضت بجزيرة مدغشقر فقد اتفقت الدولتان الإنجليزية والألمانية على اقتسام هذه الأجزاء بموجب اتفاقية وقعت بينهما عام ١٨٨٦ ورسم خط وهمى يمتد من الساحل إلى بحيرة فكتوريا فاستولت بريطانيا على أراضى شمال الخط وألمانيا على جنوبه، وهكذا خلقت مستعمرة إفريقيا الشرقية البريطانية (كينيا) ومستعمرة إفريقيا الشرقية الألمانية تنجانيقا (تانزانيا) ولم تشمل الاتفاقية منطقة أوغندا، ولكن فى عام ١٨٩٠ وقعت اتفاقية جديدة بين إنجلترا وألمانيا جعلت أوغندا من نصيب إنجلترا مقابل أن يمتد نفوذ ألمانيا إلى وسط القارة.

وهكذا أصبحت إنجلترا تتحكم فى مصبات أنهار غرب إفريقيا وهى النيجر والفولتا وجامبيا إلى جانب تحكمها فى مناطق الثروات المعدنية والزراعية (الماس فى سيراليون) والنحاس والفحم فى روديسيا الشمالية (زامبيا) وروديسيا الجنوبية ( زيمبابوى) وغيره من المعادن فى جنوب إفريقيا، والمحاصيل الزراعية فى شرق القارة فى تنجانيقا وزنجبار وكينيا وأوغندا، وأحيت أحلام بريطانيا فى إقامة خط طريق الكاب/ القاهرة عبر سلسلة من المستعمرات من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ضمن العوامل التى حكمت وجودها فى كل منطقة للجنوب والشرق وامتدادًا إلى السودان ومصر شمالا[1].

## ٤. الاستعمار البلجيكى

كانت لدى ليوبولد الثانى ملك بلجيكا أطماع ذاتية استعمارية فى وقت كان يرأس أصغر دولة أوروبية ليست قادرة على احتلال مستعمرات بتاتًا. فبدأ بصفته الشخصية بالدعوة إلى

(١) دليل الدول الإفريقية (الجمعية الإفريقية) ص٢٠.



عقد مؤتمر فى بروكسل ١٨٧٦ من أجل القيام بعمل مشترك لكشف القارة. وأسفر المؤتمر عن إنشاء ما سُمى « بالهيئة الدولية الإفريقية» اتخذت مقرها فى بروكسل، وفى العام التالى دعا ليوبولد إلى عقد مؤتمر آخر فى بروكسل أيضًا تمخض عن إنشاء هيئة جديدة أطلقت على نفسها«هيئة دراسة الكونغو الأعلى» هدفها فتح هذا الجزء من إفريقيا، وكانت هذه الهيئة نقطة تحول فى سياسة ليوبولد. كان برنامجها أكثر وضوحًا محدد الأهداف ينحصر عملها فى الاتصال بأهالى الكونغو وعقد اتفاقيات معهم من أجل الحصول على امتيازات، وأوفد ليوبولد الرحالة ستانلى إلى الزعماء الوطنيين فى المنطقة ونجح فى الحصول على أكثر من ٤٠٠ معاهدة وافق فيها أكثر من ألفين من الزعماء أن تخضع أراضيهم لسيادة هذه الهيئة، وكان هذا العمل إعلانًا بقيام دولة الكونغو الحرة التى بادرت الولايات المتحدة إلى الاعتراف بها فى إبريل ١٨٨٤ مقابل أن يترك باب الكونغو مفتوحًا للبضائع الأمريكية. اعترضت على ذلك كل من البرتغال وفرنسا وألمانيا وبدا النزاع على مسألة الكونغو لن يحل إلا عن طريق مؤتمر دولى دعت إلية ألمانيا يعقد فى برلين فكان مؤتمر برلين الشهير الذى أعلن قيام دولة الكونغو الحرة، وأصبح الملك ليوبولد رئيسًا لهذه الدولة بصفته الشخصية وبات رئيس أصغر الدول الأوروبية رئيسًا لأكبر وأغنى مستعمرات إفريقيا[1].

ولّدت قيام دولة الكونغو الحرة أطماع الملك ليوبولد إلى مزيد من الاختطاف الاستعمارى لأراضى القارة، وتمثلت هذه المطامع فى السعى ليكون له موطئ قدم عند منابع النيل ليمكنه تصريف منتجات الكونغو عن طريق نهر النيل بدلًا من المحيط الأطلسى. لذلك دخل فى مناوررة سياسية مثيرة مع العملاقين الاستعماريين بريطانيا وفرنسا، وحارب الثورة المهدية فى السودان استرضاء لبريطانيا نظير حصوله على منطقة من بحر الغزال وجيب لادو على النيل الاعلى[2]. لم يقم البلجيكيون بأى احتلال فعلى فى هذه المنطقة ولكنهم بادروا باحتلال لادو ١٨٩٨ عقب واقعة فاشودة فأذن لهم الانجليز بالبقاء بشرط ألا يعتدوا على بحر الغزال، وبذلك جعلتهم بريطانيا بمثابة حارس مؤقت على باب بحر الغزال ، ثم أوقفت توغلهم فى أعالى النيل بعد أن استتب بها الأمر بعد استرداد السودان وخاصة بعد اتفاق التسوية النهائى مع فرنسا ١٨٩٩ الذى حدد مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا فى وسط القارة[3]. وفشلت أحلام البلجيك فى التوسع فى القارة.

(١) الاستعمار الأوروبى لإفريقيا ـ المرجع السابق ص١١٥.
(٢) الموسوعة الإفريقية ص٣٣٨.
(٣) الموسوعة الإفريقية ص٣٥٥.

## ٥. الاستعمار الألمانى

جرى تقسيم إفريقيا الشرقية فى جو من التفاهم، لم تكن فرنسا ولا البرتغال تلعب دورًا فيه إذ كان التنافس يجرى بين انجلترا وألمانيا.

فى إفريقيا الشرقية حصل الإنجليز على ما كانوا يطمعون فيه، وكان الساحل الإفريقى الشرقى قد اكتسب بعض أهميته للانجليز نظرًا لنفوذهم فى المحيط الهندى، وبالنسبة لألمانيا كان التقسيم الذى تم بينهم وبين الإنجليز مصدر ارتياح لهم إذ أصبحت إفريقيا الشرقية الألمانية إحدى أكبر وأهم المستعمرات التى كانت تمتلكها ألمانيا[١].

والمقصود بإفريقيا الشرقية المنطقة الممتدة من الصومال شمالاً إلى موزمبيق جنوبًا. كانت هذه المنطقة قبل الاستعمار جزءًا من منطقة النفوذ التابعة لزنجبار وهى تتكون حاليًا من كينيا وتانزانيا ورواندا وبورندى.

فى القرن الذى نتحدث عنه كان هناك فاصل شبه كلى بين الساحل والداخل، فالشعوب فى الداخل كانوا يقررون مصيرهم، أما الساحل فكان معرضًا للغزاة الأجانب وفى طليعتهم البرتغال ثم الإنجليز والألمان. وفى الواقع كان الساحل ينتمى إلى المحيط الهندى أكثر مما ينتمى إلى القارة الإفريقية، والتأثير العربى فيه كبير يعود إلى الماضى السحيق.

كانت منطقة إفريقيا الشرقية حتى منتصف القرن التاسع عشر تخضع لإمارة زنجبار التى كانت تشمل جزيرة زنجبار الحالية وشريطًا من الساحل الإفريقى يمتد إلى عمق عشرة أميال. وضع السلطان سعيد يده على زنجبار التى كانت تتمتع بمرفأ جيد وموقع ممتاز لحركة التجارة، فقد كان سعيد ملكًا وتاجرًا بكل ما للكلمة من معنى، شجع على زراعة القرنفل واحتكر من خلالها الأسواق العالمية وأصدر عملة لها وأعاد تنظيم الجمارك وعقد معاهدات تجارية مع أمريكا والدول الاوروبية وأقام الأسواق التجارية مما جعلها منطقة تجارية ومركزًا لسوق العبيد والعاج، وامتدت سلطته إلى كل الساحل الشرقى حتى منطقته البحيرات. أما الوجه السياسى لسلطة سعيد فكان شأنًا آخر، فقد كانت المدن الساحلية تخضع لحكام يمثلون سعيد رسميًا ولكنهم كانوا فى الواقع مستقلين. وكانت الطرق التجارية الممتدة فى الداخل مكتظة بمنشآت عربية تعترف بسلطة سعيد.

بعد موت سعيد تولى ابنه برغش حكم زنجبار الذى تعاون مع إنجلترا لتضمن له المنطقة

(١) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ـ ص٢٨٦.



بأكملها حتى البحيرات الكبرى. لم يكن برغش هو الوحيد الذى يطالب بالحصول على المنطقة بأكملها ، كان التدخل الأوروبى فى هذه المنطقة تتجاذبه إنجلترا وفرنسا ثم ظهرت ألمانيا على الساحل.

ظهرت نزعة امتلاك مستعمرات ألمانية فيما وراء البحار بعد أن تمت الوحدة الألمانية عام ١٨٧١ وبعد هزيمة فرنسا فى حرب السبعين، وتأيدت هذه النزعة رغم أنه لم تكن لدى المستشار الألمانى بسمارك اتجاهات استعمارية، وزكّى النزعة الاستعمارية المستكشفون الألمان الذين ساهموا بمجهود ضخم فى اكتشافات إفريقيا. وعلى سبيل المثال لا الحصر فردريك هورتمان الذى عبر الصحراء الكبرى من طرابلس إلى النيجر، وهنريش الذى طوّف بالسودان الغربى (وكلاهما كانا فى خدمة بريطانيا) وجورج شفاينفورت وجوستاف نافتيجال اللذان طوفّا منفردين السودان الأوسط، وكارل فون دردكين فى شرق إفريقيا وإدوارمور وكارل ماوش فى حوض الزمبيزى[١].

وزاد من إلحاح أنصار الاستعمار نحو الانتاج الصناعى فى ألمانيا وما حظيت به صناعة السفن من تطور كبير، فلو ظل الألمان بدون مستعمرات لتعرضت مصنوعاتهم للرسوم الجمركيه المرتفعة التى تفرضها الدول على المصنوعات الأجنبية من أجل حماية صناعتها ومن ثمّ اتجه التفكير إلى المستعمرات لحل أزمة إيجاد أسواق للمصنوعات الألمانية وحل لأزمة الأسطول الألمانى الذى لا يجد ما يحمله. وكان بسمارك فى أول الأمر معارضًا لهذه النزعة ويرى فى المستعمرات عبئًا لا تتحمله طاقة الشعب الألمانى، ولكنه لم يلبث أن اتجه إلى الناحية الأخرى. وفى عام ١٨٨٣ وجه بسمارك إلى جمعيات التجار رجاء التقدم بمقترحاتهم بالحلول المقترحة من أجل صالح التجارة الألمانية وأصدر عام ١٨٨٤ كتابًا أبيض عن سوء معاملة القناصل البريطانيين للتجارة الألمانية فيما نشط أنصار الاستعمار فى تأسيس جمعية المستعمرات الألمانية برئاسة كارل بيتزر للعمل فى شرق إفريقيا، فقام بعقد معاهدات مع المشايخ والسلاطين من أجل الحصول على حق استغلال هذه الأجزاء ووضع بلادهم تحت الحماية الألمانية.

والحقيقة أن ألمانيا لم تكن غائبة كليًا عن إفريقيا الشرقية، كان فيها وفى زنجبار بالذات تجار ألمان، وفى سنوات ١٨٧٠ كانوا يسيطرون على أكثر من نصف صادرات زنجبار أى أكثر مرتين من صادرات إنجلترا. أما المشروع الأول لغزو أراضى إفريقيا الشرقية لصالح ألمانيا فقد أنشأته جمعية المستعمرات الألمانية التى ولدت فى برلين عام ١٨٨٤ قبل مؤتمر برلين بأشهر معدودة.

(١) الاستعمار الأوروبى لإفريقيا ـ المرجع السابق ـ ص٢٧١.

كان كارل بيترز الذى اضطلع بإدارة الجمعية أهم الشخصيات فى تاريخ الإمبريالية فى إفريقيا، حاول أن يقنع الخارجية الألمانية والمستشار الألمانى بمواهبه الاستعمارية ولكن دون جدوى فقرر أن يغامر وحده عن طريق الجمعية، كان هدفه من قوله «الحصول على إمبراطورية له شخصيًا» فذهب إلى منطقة فى مواجهة زنجبار هو وثلاثة من معاونيه رغم أن القنصل الألمانى فى الجزيرة أبلغهم أن حكومة الرايخ( حكومة ألمانيا) لا تمنحهم أى شكل من الحماية، وكتب بيترز عن رحلته واستطاع أن يوقع إحدى عشرة اتفاقية مع زعماء القبائل. وبالطبع كانت معاهدات وهمية تتم فى حفلات مع القبائل الإفريقية يحصل بعدها بيترز على خربشة من أحدهم على ورقة معدة لهذا الغرض. وتجول بيترز حسب قوله فى كل إفريقيا الشرقية ثم عاد إلى برلين حيث كان مؤتمر برلين منعقدًا ووضع وثائق لدى وزارة الخارجية الألمانية موضحًا أن هذه الأراضى يمكن أن تشكل نواة «هند ألمانية» فى إفريقيا[١].

وبالطبع لم يكن من المعقول أن يفاجئ الألمان المؤتمرين فى اللحظة الأخيرة بمطالبهم فى هذه الأراضى، فانتظروا إلى انتهاء المؤتمر وطلبت وزارة الخارجية الألمانية أن توضع كل هذه الأراضى تحت الوصاية الألمانية، ونظمت البحرية الألمانية عرضًا أمام ساحل زنجبار لإجبار سلطانها على التخلى عن مطالبه فى الأراضى التى حصل عليها بيترز والقبول بالوصاية الألمانية.

احتج سلطان زنجبار على هذه الحماية الألمانية فتألفت لجنة ألمانية إنجليزية فرنسية من أجل دراسة مدى ما يدعيه سلطان زنجبار من سلطة على الأراضى الداخلية وهى تنجانيقا (تنزانيا) وكينيا وجنوب الصومال. وبعد القيام بالتحريات قدمت اللجنة مذكرة إلى الحكومات الثلاث ذكرت فيها أن السلطان ليس له حقوق مشروعة إلا على جزر زنجبار وبمبا وارخبيل ولامو وشريط ساحلى لا يبلغ عمقه أكثر من عشرة أميال، واعتبرت الدول الثلاث ما جاء فى المذكرة أساسًا لنشاطها.

كان بسمارك يعلم أن مفتاح إفريقيا الشرقية هو زنجبار التى تقع فى حوزة بريطانيا؛ فى حين كانت الآراء فى بريطانيا منقسمة حول هذه الأراضى فلم يكن رئيس الوزراء البريطانى يهتم بهذه المنطقة وكان يطلق عليها« البلاد الجبلية الواقعة خلف زنجبار ذات الاسم الذى يصعب تذكره»، إلا أن بعض المسئولين السياسيين البريطانيين كانوا يخططون لاستراتيجية جديدة فى

(١) تقسيم إفريقيا ـ المرجع السابق ـ ص٢٣٩.



إفريقيا ، وقد صيغت هذه الاستراتيجية للمرة الأولى فى مذكرة المكتب الخارجى فى الخارجية البريطانية وظهرت فى ديسمبر ١٨٨٤ تقول الوثيقة«نظرًا للسباق الذى بدأه الاوروبيون للسيطرة على أراضى الساحل الشرقى الإفريقى، وأخذًا فى الاعتبار أن المحيط الهندى الذى يحيط بالهند وأستراليا قد سبق أن احتلهما البريطانيون إذا أضفنا لهما الساحل الشرقى الإفريقى فيصبح المحيط الهندى بحرًا داخليًا إنجليزيًا ـ أو بحرًا متوسطًا بريطانيًا.

وفى ذلك الوقت كانت كل من بريطانيا وألمانيا تعملان لصد النفوذ الفرنسى، فأبرمتا اتفاقية على شكل تبادل ملاحظات بين ألمانيا وإنجلترا عام ١٨٨٦ كرست سيادة سلطان زنجبار على جزر زنجبار وبمبا ومافيا ولامو وكذلك منطقة الساحل المواجة لها، أما المنطقة الخلفية فقسمت إلى منطقة نفوذ المانية فى الجنوب ومنطقة نفوذ انجليزية فى الشمال، وبهذا تحقق أول تقسيم إنجليزى ـ ألمانى لإفريقيا الشرقية.

تطورت الوقائع بشكل مختلف فى منطقة النفوذ البريطانى فى شرق إفريقيا، كانت الخارجية البريطانية تطمح فى المنطقة الواقعة شمال بحيرة فكتوريا وأوغندا تحديدًا استكمالًا لاستراتيجيتها بشأن النيل، ولكن كان الألمان قد سبقوهم إلى أوغندا حيث أقاموا فيها نظام الحماية بفضل جهود كارل بيترز الذى أعاد عرش الملك المحلى«موانجا» فكافأه بعقد معاهدة معه سميت «المعاهدة التمهيدية» فى فبراير ١٨٩٠، وبهذا استولت ألمانيا على أوغندا ولكن بريطانيا لم تقبل به وأعد سالسبورى رئيس وزرائها خطة للسيطرة على وادى النيل كله الذى يحتل المركز الأول لاهتمامات إنجلترا.

مثلت المعاهدة التى عقدها بيترز فى أوغندا بالإضافة إلى المطالب الألمانية التى تقوم على هذه المعاهدات تهديدًا للطموحات البريطانية، وكان لا بد من منع ألمانيا من الاستقرار فى أوغندا، وفى حال وجودها يجب طردها. لم يؤد ذلك إلى مواجهة بين بريطانيا وألمانيا، إذ نجح سالسبورى بشكل مؤثر وفعال فى تقسيم إفريقيا دون أن ينتج عن هذا التقسيم صراعات، فقد توصل مع ألمانيا أن تترك أوغندا نظير أن تعترف بريطانيا لألمانيا بحيازة تنجانيقا ورواندا وبوروندى.

* * *

وعلى الشاطئ الغربى الإفريقى كانت إفريقيا الجنوبية الغربية (ناميبيا) سببًا فى عداء بسمارك لإنجلترا نتيجة للسلوك الاستفزازى المتمثل فى رد الفعل غير الودى من جانب بريطانيا

لطلبه (المتواضع) للحصول على مجال نفوذ فى منطقة جنوب غرب إفريقيا. وحقيقة الأمر أن البريطانيين حاولوا منذ عام ١٨٨٣ استبعاد ألمانيا من مجال الاستعمار فى تلك المنطقة، وعندما طلب بسمارك مساندة بريطانيا للاستحواذ على منطقة جنوب غرب إفريقيا لاذت بريطانيا بالصمت. وكان تاجر ألمانى يدعى لودريز Lu deritz قد استقر فى المنطقة وتملك عن طريق المعاهدات مع الزعماء المحليين ما يقرب من ٢١٥ ميلًا ورفع العلم الألمانى عليها، فما كان من ألمانيا إلا إعلانها فى يناير ١٨٨٤ وضع هذه الاجزاء تحت الحماية الألمانية ووضعت بريطانيا تحت الأمر الواقع فرضخت بريطانيا واعترفت بها لألمانيا فى اغسطس ١٨٨٤.

وحدث مثل هذا فى توجو والكمرون ففى إبريل عام ١٨٨٤ اعلنت الخارجية الالمانية ان قنصلا المانيا سيزور غرب إفريقيا ليستعلم عن حالة التجارة الألمانية وليقوم بمفاوضات بشأن مسائل مختلفة، وعندما وصل رفع العلم الألمانى على مدينتى باجيدا ولومى وأعلن قيام محمية توجولاند، ثم اتجه إلى الكمرون وكان التجار الألمان نحجوا فى عقد مفاوضات مع الزعماء الذين رضوا أن يضعوا أنفسهم تحت الحماية الألمانية، فأعلنت ألمانيا حمايتها على المنطقة فى يوليو ١٨٨٤ بينما كانت فرنسا تحاول الزحف إلى الكمرون عن طريق الجابون، وكانت بريطانيا فى صراع محتدم مع فرنسا لذا تركت الأسبقية للألمان فى المنطقة نكاية فى فرنسا. فى ذلك الوقت كانت فرنسا تريد أن تفرض حمايتها على مراكش لقاء إطلاق يد ألمانيا فى الكمرون[١].

وهكذا يمكن تأريخ ولادة الإمبراطورية الاستعمارية الالمانية عشية نهاية مؤتمر برلين فتملكت ألمانيا جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا) والتوجو والكمرون ورواندا وبورندى فى وسط القارة. (وقد فقدت المانيا كل هذه المستعمرات بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى، التوجو والكمرون ضمتا إلى فرنسا، ورواندا وبورندى ضمت إلى بلجيكا، وجنوب غرب إفريقيا ضمت إلى جنوب إفريقيا، وتنجانيقا كانت من نصيب بريطانيا).

## ٦. الاستعمار الإيطالى

كانت إيطاليا من أضعف الدول الأوروبية فى مستهل القرن التاسع عشر، وبالتالى كانت أقلها نصيبًا فى حيازة المستعمرات فى إفريقيا، كما أنها لم تكن لديها القوة العسكرية التى يخشى بأسها فكانت كل من بريطانيا وفرنسا تعامل إيطاليا فى إفريقيا بمثابة مخلب قط أو بالأصح أداة للمساواة فى عملية المطامع الاستعمارية. وظلت إيطاليا قانعة بما يفيض عن

(١) الاستعمار الاوروبى لإفريقيا ـ المرجع السابق ـ ص٢٨٦.



حاجة الدول الكبرى. ولكن مع نجاح الوحدة الإيطالية خاصة بقوة السلاح أوجد ذلك لدى الشعب الإيطالى شعورًا بالعظمة والفخر بالسلف وبأنهم أحفاد وورثة الرومان الأقدمين والإمبراطورية الرومانية، وتطلع الإيطاليون شأنهم شأن الشعوب الأوروبية الأخرى التى اصابتها حمى الاستعمار إلى حيازة مستعمرات.

بدأت الحكومة الإيطالية تحركها الاستعمارى عام ١٨٨٢ بشراء منطقة خليج عصب بالقرب من خليج عدن، إذ كانت إيطاليا تطمح أن تجد مدخلًا للبحر المتوسط من خلال سيطرتها على البحر الأحمر، وكان فى مخيلة دعاة الاستعمار فيها السعى لإقامة إمبراطورية استعمارية تضم كلًا من إثيوبيا ومنابع النيل. ثم خطت نحو تحقيق حلمها عندما انتهى الحكم المصرى فى السودان واعتبر أرضًا خلاء. أقدمت إيطاليا تساندها بريطانيا لاحتلال مصوع ونجحت تدريجيًا فى وصل عصب بمصوع بشريط من الأرض الصحراوية يمتد بمحاذاة الساحل فأصبحت هذه الأجزاء تكون مستعمرة واحدة حملت اسم أريتريا[١].

ثم رنت ايطاليا ببصرها نحو أراضى الصومال، وكانت تحت سيادة سلطان زنجبار، ونجحت شركة إيطالية فى الحصول على عقد من السلطان باستثمار مناطق معينة على ساحل إفريقيا الشرقية. والواقع أن تنازل سلطان زنجبار لم يكن مباشرًا بل لصالح شركة إفريقيا البريطانية التى تنازل عنها للشركة الإيطالية، وكانت بريطانيا ذلك الوقت تحابى إيطاليا لتقف فى صفها فى التنافس الإنجليزى الفرنسى، فأيدت هذا التنازل بمحضر وقع عليه السلطان ١٨٩٢، ومن ثمّ كانت المساعدة البريطانية هى العامل الوحيد الذى مكن إيطاليا من الوجود فى المحيط الهندى[٢] وساحل البحر الأحمر.

ثم رنت إيطاليا ببصرها نحو إثيوبيا، وبدأ التغلغل الإيطالى فى إثيوبيا عام ١٨٨٩ عندما أبرمت معاهدة أوتشالى Ucciali تضمنت منح إثيوبيا قرضًا من إيطاليا مقابل منح إيطاليا مدخلًا على البحر الأحمر عند ميناء مصوع. وطبقًا لتفسير المعاهدة المكتوبة باللغة الإيطالية تكون إثيوبيا تحت الحماية الإيطالية، ولكن الملك منليك إمبراطور الحبشة تنصل من المعاهدة ١٨٩٣ فكان الرد الإيطالى غزو إثيوبيا عام ١٨٩٦، ولكن الإثيوبيين هزموا الإيطاليين هزيمة ساحقة فى موقعة «عدوة»، وعقدت معاهدة صلح فى أديس أبابا حُددت فيها الحدود نهائيًا بين

(١) الموسوعة الإفريقية ـ المرجع السابق ص٦٤.

(٢) فى عام ١٩٠٨ تحددت الحدود النهائية بين الصومال الإيطالى والصومال الكينى البريطانى، وكذلك الصومال الفرنسى بسيطرة فرنسا على ميناء جيبوتى.

مستعمره أريتريا وولاية تيجرى فى إثيوبيا؛ علاوة على الفدية الكبيرة التى دفعتها إيطاليا من أجل إطلاق سراح المعتقلين، وبذلك أصيبت سياسة التوسع الإيطالى بضربة قاضية وطويت صفحة من صفحات الاستعمار الايطالى الحزين فى إفريقيا.

وعملت كل من بريطانيا وفرنسا على ملء هذا الفراغ فى إثيوبيا بتأييد الإمبراطور الإثيوبى الذى أصبح يشعر بحاجته إلى الحماية الأوروبية فاعترف بوجود مصالح بريطانية فى النيل الأزرق ، ومنح فرنسا عقد امتياز يتيح لها مد خط حديدى من الصومال الفرنسى (جيبوتى) إلى أديس أبابا. وهذه الترتيبات لم تأخذ شكلها الرسمى إلا فى عام ١٩٠٦ .

## ٧. الاستعمار البرتغالى

كان الاستعمار البرتغالى أقدم استعمار وطئ أرض إفريقيا، فالبرتغاليون هم أول الأوروبيين الذين نزلوا إلى إفريقيا مع قيامهم بالحركة الكشفية فى القرن الخامس عشر، وبعدهم توالت الدول على طول السواحل الإفريقية.

بدأت خطط البرتغاليين بالالتفاف حول سواحل إفريقيا من الساحل الشمالى الغربى نزولاً إلى كل الساحل الغربى، فأبحروا إلى سيراليون ثم ليبيريا إلى ساحل العاج إلى بنين. وأقام البرتغاليون مراكز تجارية فى مملكة بنين وعلى ساحل غانا ثم نزلوا جنوبًا إلى الكونغو حتى وصلوا إلى أنجولا، وأسسوا نقاطًا ساحلية مؤقتة سرعان ما تحولت إلى وجود دائم، ولكنهم لم يستطيعوا فرض سيطرتهم فى الداخل.

وفى شرق القارة أدت الرغبة لدى البرتغاليين فى وجود محطات فى الطريق إلى الهند إلى الاستيلاء على مراكز فى الساحل الشرقى لإفريقيا ودخلوا فى معارك مع العرب الذين كانوا يسيطرون على تلك المناطق واستولوا على كلوه وزنجبار وبمبه وممبسه ومالندى ومقديشيو ووصلوا إلى موزمبيق عام ١٥٣٠ وأنشأوا حصونًا حربية ومراكز تجارية. وتوقفت الجهود الكشفية الاستعمارية البرتغالية فى شرق القارة بسبب ظهور الأسطول التركى فى مياه الساحل الشرقى الإفريقى[١]. ثم لم يلبث أن ظهر البريطانيون فى مياه المحيط الهندى وتبعهم الهولنديون الذين أسسوا مستعمرة جنوب إفريقيا، كما ظهر الفرنسيون فى جزيرة مدغشقر فكانت هذه كلها داعيًا إلى هبوط شأن البرتغال فى الساحل الشرقى.

(١) العبودية فى إفريقيا ـ المرجع السابق ص٤٥.



وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عاد البرتغاليون إلى الاهتمام بشرق إفريقيا وحددت منطقة موزمبيق ـ وفقًا لمعاهدات عقدت مع إمام مسقط ـ لشركات برتغالية تحتكرها ومنع غير البرتغاليين من مزاولة أى تجارة هناك؛ فى حين أن البرتغاليين كانوا لا يملكون سوى بعض الحصون المأهولة بحفنة من الجنود والتجار الصغار وكان وجودهم محدودًا داخل البلاد،ولكن توسعت بعد ذلك دائرة نفوذها لتشمل موزمبيق كلها.

وفى الساحل الغربى الإفريقى فى منتصف القرن بدأت الدول الأوروبية تتطلع إلى منطقة الكونغو فبادرت البرتغال بإقامة حاميات على الشاطئ والتوغل فى الداخل، ولكن جاء عقد مؤتمر برلين كارثة للبرتغاليين، فقد اهتز مركز البرتغال هناك إذ أنكر المؤتمرون على البرتغال حقوقها فى مصب الكونغو ولم يعترفوا لها إلا بمنطقة كابندا وبمستعمرة أنجولا.

كذلك ظهر الوجود البرتغالى فى الساحل الغربى فى جزيرتى ساوتومى وبرنست منذ عام ١٥٧٠ فى خليج غينيا، وكانا يعتبران محطتان هامتان لتجارة ونقل الرقيق. وقد تأكد هذا الوجود عام ١٨٩٨ بعد توقيع البرتغال عددًا من الاتفاقيات بعد مؤتمر برلين[١]. وبالنسبة لغينيابيساو وجزر الرأس الأخضر الواقعة على الساحل الغربى الإفريقى المطل على المحيط الأطلسى فقد وصلها البحارة البرتغاليون عام ١٨٤٦ ومارس المبشرون نشاطًا كبيرًا لخدمة استقرار السيطرة البرتغالية على المنطقة، وكان الملوك البرتغاليون يعتبرونها ملكية خاصة بهم[٢].

## ٨. الاستعمار الإسبانى

بالرغم من أن إسبانيا كانت من أوائل الدول التى اندفعت إلى المجال الاستعمارى بل كانت الدولة الثانية بعد البرتغال إلا أن نصيبها فى المستعمرات الإفريقية كان ضئيلًا؛ ذلك أنها لم تقم بدور كبير فى استعمار إفريقيا بسبب انشغالها ببناء إمبراطوريتها فى أمريكا الوسطى والجنوبية، ولكن كثرة الإسبان فى جزر كناريا (الواقعة فى أقصى الشمال الغربى الإفريقى فى مواجهة المغرب) جعلها تكاد تكون إسبانية صرفة، وقد حاول البريطانيون فى بداية القرن التاسع عشر الاستيلاء عليها إلا أنهم فشلوا بسبب دفاع الأهالى ومعهم المهاجرون الإسبان. وفى عام ١٨٣٢ صارت الجزيرة جزءًا من إسبانيا.

اهتمت إسبانيا بالمنطقة الساحلية المواجهة لجزر كناريا ورفعت عليها علمها ١٨٨٥

(١) دليل الدول الإفريقية ـ المرجع السابق ص٢٩٦ ـ ٣٠٨.
(٢) دليل الدول الإفريقية ـ المرجع السابق ص٢٣٩.

وأطلقت عليه ديودورو، ثم قامت بضم الساحل الصحراوى الغربى بين رأس يوجادور حتى رأس بلانكو والساقية الحمراء وديودورو فى منطقة إدارية واحدة وأطلقت عليها الصحراء الإسبانية ( الصحراء الغربية) ثم احتلت منطقتى سبتة ومليلة من الأراضى المغربية.

ومن الأملاك الإسبانية فى إفريقيا أيضًا مستعمرة صغيرة على الساحل الغربى للقارة هى جزيرة غانة الإسبانية التى احتلتها إسبانيا عام ١٧٨٨ ومعها جزيرة فرناندوبو.

******



## الخلاصة

## خريطة إفريقيا الاستعمارية

إن الصورة النهائية لخريطة إفريقيا السياسية بعد أن اكتمل غزوها فى نهاية القرن التاسع عشر اختلفت كليًا عما كانت عليه فى بداياته، رسمت حدود وظهرت دول مصطنعة واختفت كيانات وممالك وإمبراطوريات عظيمة وصمت بالتخلف والبربرية لتبرر القوى الاستعمارية اغتصاب القارة واحتلالها . ويمكن تلخيص ما سبق أن الفرنسيين كانوا أنشط الأوروبيين فى اتباع سياسة الغزو العسكرى، فقد زحفوا من أعالى نهر النيجر إلى أدناه، وبذلك قضوا على إمبراطورية السوننكى فى سنجامينا، وكذلك على إمبراطورية التكرور فى سيجو، وواصل الفرنسيون زحفهم فى سائر مناطق غرب إفريقيا فاستولوا على ساحل العاج وغزوا مملكة داهومى ثم الجابون وقضوا على المقاومة الإفريقية العتيدة فى الأراضى الواقعة بين منطقة الساحل وبين الصحراءالكبرى، كما عززوا مراكزهم فى شمال إفريقيا وغزوا مدغشقر.

وبالمثل كان الاستعمار العسكرى البريطانى حافلًا بالأحداث وسفك الدماء، كما كانت ردود الفعل الإفريقية عنيدة ومديدة فى أغلب الحالات. وقد استطاعت بريطانيا من خلال ممتلكاتها الساحلية فى ساحل الذهب ونيجيريا أن توقف كل توسع فرنسى فى اتجاه حوض النيجر الأدنى وفى أراضى الاشانتى الداخلية ( غانا)، ثم ضمت لاجوس عام ١٨٩٨ وأعلنت حمايتها على الجزء الأكبر من بلاد اليوروبا. وبحلول عام ١٩٠٠ كانت بريطانيا قد ضمنت السيطرة على جنوب نيجيريا، ولكن الاحتلال الفعلى للمناطق الداخلية الشرقية لنيجيريا لم يتم إلا بعد عقدين من القرن العشرين، أما فى الشمال فقد تم الغزو البريطانى لها عام ١٩٠٢[١].

وفى شرق إفريقيا أعلنت بريطانيا الحماية على زنجبار ١٨٩٠ وأصبحت زنجبار هى

(١) تاريخ إفريقيا العام ـ المرجع السابق ص٥٥.

القاعدة التى انطلق منها الغزو البريطانى للبقية الباقية من إفريقيا الشرقية، وكانت الغنيمة الكبرى لها أوغندا التى أعلنت عليها الحماية رسميًا ١٨٩٤، أما كينيا فقد قضت بريطانيا عشر سنوات قبل أن تتمكن من السيطرة عليها. وامتدت سطوتها إلى أريتريا فاحتلت جزءًا منها عام ١٨٨٣. كما استولت على الساحل الشرقى للصومال فى أثناء تقسيم الإمبراطورية العثمانية ١٨٨٦، ثم أبرمت معاهدة عام ١٨٨٩ مع منليك الثانى إمبراطور الحبشة (إثيوبيا) التى عينت الحدود بين الحبشة وأريتريا.

وفى وسط القارة وجنوبها لم تسقط نهائيًا فى أيدى الغزاة البريطانيين إلا بعد القمع الدموى لشعبى الندبيلى والماشونابين عامى ١٨٩٦ـ١٨٩٧. ثم غزت بريطانيا زامبيا وتم احتلالها عام ١٩٠١ ،كانت آخر حروب التقسيم التى خاضتها بريطانيا حربها ضد البوير فى جنوب إفريقيا (مع ملاحظة أن الحرب بين الإنجليز والبوير ١٨٩٩ـ١٩٠٢ كانت حربًا بين الأوروبيين أنفسهم أى بين الإحتلال الإنجليزى والمستوطنين الأوروبيين فى البلاد).

وبالنسبة لألمانيا فهى لم تتمكن من تثبيت حكمها الفعلى فى جنوب غرب إفريقيا إلا فى أواخر القرن التاسع عشر بعد أن أجرت حرب إبادة على شعب الهيريرو. وفى الكاميرون تم إخضاعها عام ١٩٠٢. على أن حروب غزو إفريقيا الشرقية الألمانية تنجانيقا( تانزانيا) كانت الاشد ضراوة وأطول أمدًا فقد استمرت من ١٨٨٨ إلى ١٩٠٧ وكانت أبرز حملاتها هى التى وجهتها ضد الزعيم بوشيرى قلب الاسد ١٨٨٨ـ١٨٨٩ وضد الواهيهى ١٨٩٨ وضد زعماء مقاومة الماجى ماجى ١٩٠٥ـ١٩٠٧.

وبالنسبة للاستعمار البلجيكى فقد واجهت دولة الكونغو الحرة صعوبات قبل أن تتمكن من الاحتلال العسكرى الكامل. فى البداية حاولت التحالف مع عرب الكونغو الذين كانوا يعادونها أشد العداء، وعندما أيقن ليوبولد عدم جدوى هذا التحالف شن حملة ضدهم ولم يتسن إخضاعهم إلا بعد ثلاث سنوات ١٨٩٢ـ١٨٩٥، كما لم يستكمل احتلال كاتنجا الذى بدأعام ١٨٩١ إلا بعد أوائل القرن العشرين.

أما الشمال الإفريقى فقد قسم بين بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وبذلك يمكن القول انه بحلول عام ١٩١٤ لم يكن قد بقى فى إفريقيا دولة مستقلة ـ اسمًا ـ سوى ليبيريا والحبشة (إثيوبيا).

والسؤال لماذا تمكنت القوى الأوربية من قهر إفريقيا؟

تمكنت القوى الأوروبية من قهر إفريقيا لعدة أسباب، أولا: كان الأوروبيون ـ يعرفون



إفريقيا وإصقاعها الداخلية تضاريسها وأرضها واقتصادها ومواردها ومواطن القوة والضعف فى دولها ومجتمعاتها أكثر مما كان الإفريقيون يعرفونه عن أوروبا بالطبع.

ثانيًا: كان الأوروبيون بفضل التطورات فى التقنيات الطبية لا سيما اكتشاف الكينين كدواء واقٍ من حمى المستنقعات (الملاريا) قد أصبحوا أقل تخوفًا من إفريقيا مما كانوا عليه قبل منتصف القرن التاسع عشر.

ثالثًا: كانت موارد أوروبا المادية والمالية أضخم بكثير من موارد إفريقيا؛ أدى ذلك إلى عدم التوازن التجارى بين هاتين القارتين حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر، بل وبعد ذلك تزايد مع سرعة الثورة الصناعية إذ كان بوسع القوى الأوروبية أن تنفق ملايين الجنيهات فى حملاتها وراء البحار، ولم تكن دول إفريقيا لتستطيع احتمال أية مواجهة عسكرية طويلة الأمد ضد هذه القوى.

رابعًا: اتسمت هذه الفترة فى إفريقيا بالتصارع والتطاحن بين دولها وفى داخلها، الماندنجو ضد التكرور،الأشانتى ضد الفانتى، الباغندا ضد البنيورو، الباتورو ضد البنيورو أيضًا، الماشونا ضد الندبيلى، وفى حين كانت الاقطار الافريقيه مشتتة كانت الدول الأوروبية ـ طوال فترة التقسيم حتى عام ١٩١٤ ـ تحل مشاكلها فيما بينها دون اللجوء إلى الحرب، وهكذا أبدت الدول الأوروبية المشتركة فى التقسيم رغم حدة التنافس روحًا تضامنية حالت دون الحروب فيما بينها بل حالت أيضًا بين حكام إفريقيا ومجتمعاتها وبين الإيقاع بين دول أوروبية وأخرى حفظًا لمصالحها، فطوال هذه الفترة لم يحدث قط أن قامت دولة أوروبية بمساعدة دولة إفريقية ضد دولة أوروبية أخرى.

أما مسلك الدول الإفريقية فكان على العكس حيث انعدم التضامن والاتحاد والتعاون، بل إن البعض كان لا يتورع عن التحالف مع القوى الأوروبية الغازية ضد جيرانه مثل تحالف الباغندا مع البريطانيين ضد البنيورو، والباروتس مع البريطانيين ضد الندبيلى، والبامبارا مع الفرنسيين ضد التكرور. ونتيجة لهذا كله بدت حركات المقاومة الإفريقية حركات معزولة غير منسقة حتى على الصعيد الإقليمى.

أما العامل الأخير وهو أكثر العوامل حسمًا فكان تفوق أوروبا العسكرى الساحق على إفريقيا، فبينما كانت أوروبا تستخدم جيوشًا منظمة مدربة محترفة كان عدد الدول الافريقية التى لديها جيوش دائمة قليلة جدًا وكانت تجند الأفراد وتعبئهم للهجوم أو الدفاع على أساس

ارتجالى حسبما تدعو الحاجة؛ فى حين كانت تستطيع الدول الأوروبية أن تستعين بمرتزقة ومجندين أفارقة وغيرهم. وفضلًا عن ذلك كله كانت الدول الاستعمارية قد اتفقت بمقتضى اتفاقية بروكسل ١٨٩٠ ألا تبيع سلاحًا للإفريقيين، ومعنى ذلك أن معظم الجيوش الإفريقية كانت مسلحة ببنادق قديمة لا تصلح للاستخدام؛ بنادق بقداحة أو بنادق تحشى من الفوهة لتواجه بها الجيوش الأوروبية المسلحة بأحدث المدافع الثقيلة بنادق سريعة الطلقات ومدفعية ثقيلة لقواتها البحرية.

لكل هذه المزايا الاقتصادية والسياسية والعسكرية كان لا بد أن تتفوق دول أوروبا على الكيانات السياسية الإفريقية، فالمعركة لم تكن متكافئة مطلقًا؛ لذا لم يكن غريبًا أن تقهر دول أوروبا بلاد إفريقيا بسهولة، والواقع أن توقيت الغزو كان أفضل توقيت بالنسبة لأوروبا وأسوأ توقيت لإفريقيا[(١)].

وهكذا اختلفت تمامًا الخريطة السياسية لإفريقيا بعد تعيين الحدود والاحتلال العسكرى فى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين عما كانت عليه فى بدايات القرن التاسع عشر.. قسمت القارة نحو ٤٣ وحدة سياسية مصطنعة وتعسفية ومتعجلة وعشوائية شوهت النظام السياسى الوطنى الذى كان قائمًا قبل مجىء الأوروبيين. فنجد نحو ٣٠٪ من الطول الكلى للحدود مرسوم على شكل خطوط مستقيمة كثيرًا ما تخترق حدودًا إثنية ولغوية.. غزو إفريقيا وفى عام ١٩٠٢ اكتمل وكان غزوا أهدرت فيه دماء وأرواح لا تحصى، وإذا كان غزو أوروبا لإفريقيا ورسم حدودها تم بسهولة فإن احتلال القارة وإقامة الإدارة الأوروبية لم يكن هينًا فيما بعد، فقد واجه المستعمرون اضطرابات وتمردات من الأهالى الوطنين واندلعت حركات المقاومة فى كل أجزاء القارة، وهذا الجانب من التاريخ الإفريقى المشرف الغنى بالدول والممالك والامبراطورنيات الإفريقية أسدل عليه ستائر النسيان وحين يشار إليه يوصم بالتخلف والدونية. وهذا ما يحاول الجزء التالى من الكتاب التعرض له والكشف عنه. وفيما يلى جدول يبين خريطة ممتلكات الدول الأوروربية للأراضى الإفريقية وتاريخ احتلالها.

(١) تاريخ إفريقيا العام ـ المرجع السابق ـ ص٦٣.





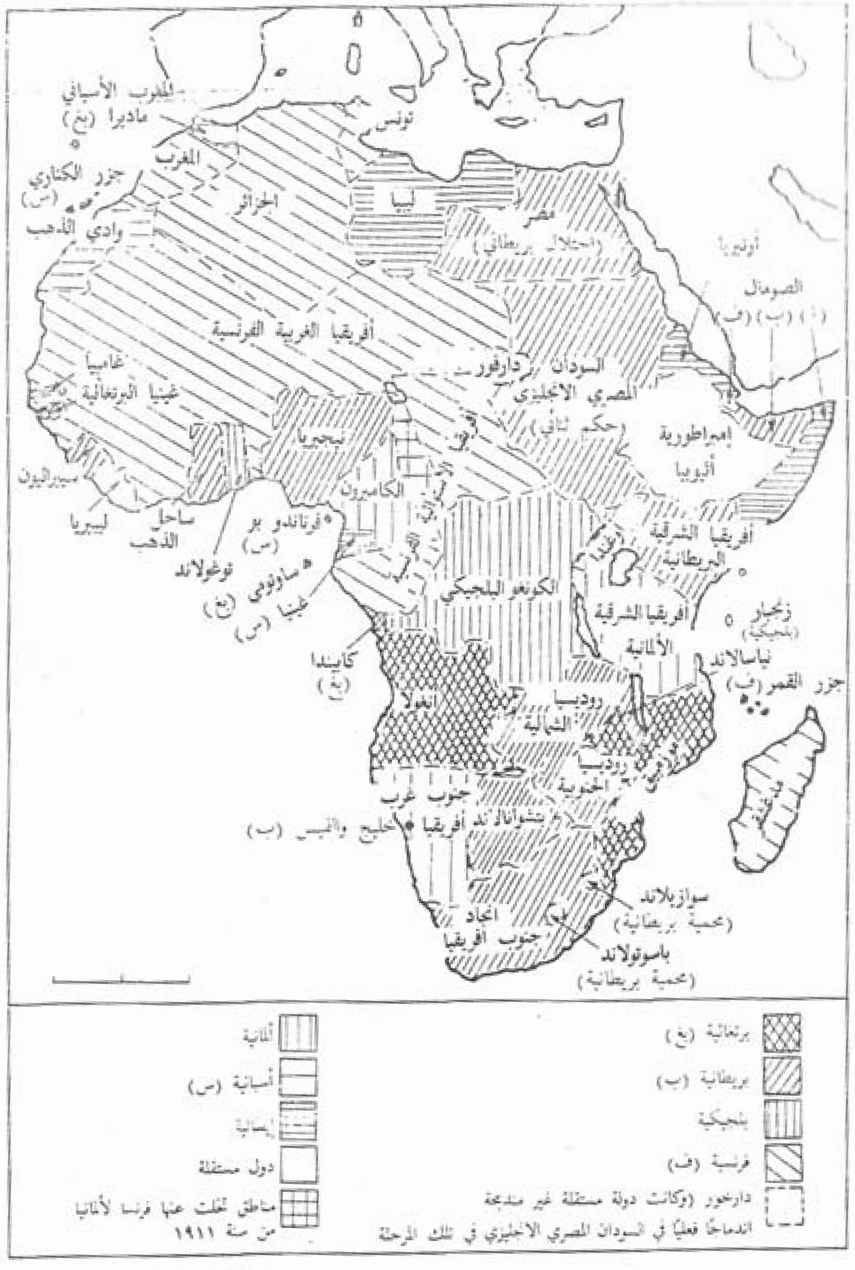


الشكل ٣-٢: افريقيا في عام ١٩١٤. (نقلاً عن ر. أوليفر وج. د. فاج، ١٩٦٢).

| المنطقة الممتلكة | عدد سكانها | المساحةمقدرة بالأميال المربعة | الدولة التى تمتلكها | تاريخ التسوية النهائية أو الامتلاك |
|---|---|---|---|---|
| الساحل الشمالى | | | | |
| الجزائر | ٥,٦٠٠,٠٠٠ | ١,١٠٠,٠٠٠ | فرنسا | اتفاق ٥ أغسطس سنة ١٨٩٠ بين فرنسا وإنجلترا |
| تونس | ١,٨٠٠,٠٠٠ | ٤٦,٠٠٠ | فرنسا | ابتدأ الاحتلال سنة ١٨٨١ |
| مصر | ١١,٣٠٠,٠٠٠ | ٤٠٠,٠٠٠ | بريطانيا | ابتدأ الاحتلال فى سنة ١٨٨٣ |
| المجموع | ١٨,٧٠٠,٠٠٠ | ١,٥٤٦,٠٠٠ | | |
| الساحل الغربى | | | | |
| المنطقة من رأس بوجادور إلى الرأس الأبيض | ٢٠٠,٠٠٠ | ٧٥,٠٠٠ | إسبانيا | إعلان الحماية فى ٩ يناير ١٨٨٥ |
| السنغال | ١,٢٥٠,٠٠٠ | ٧٤,٠٠٠ | فرنسا | تسوية ١٠ أغسطس ١٨٨٩ بين فرنسا وإنجلترا |
| غينيا | ١٤٦,٠٠٠ | ٤,٠٠٠ | بريطانيا | تسوية ١٠ أغسطس ١٨٨٩ بين فرنسا وإنجلترا |
| غينيا البرتغالية | ٤٠٠,٠٠٠ | ١٤,٠٠٠ | البرتغال | اتفاق ١٢ مايو سنة ١٨٨٦ بين فرنسا والبرتغال |
| غينيا الفرنسية | ١,٧٣٧,٣٥٠ | ٩٣,٠٠٠ | فرنسا | اتفاق ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ |
| سيراليون | ١,٠٠٠,٠٠٠ | ٣٤,٠٠٠ | بريطانيا | اتفاق ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ |

الممتلكات الأوروبيه فى إفريقية نقلًا عن كتاب «المنافسة الدولية فى أعالى النيل ١٨٨٠ ـ ١٩٠٦ تأليف الدكتور على إبراهيم عبده/ مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٥٨.



| المنطقة الممتلكة | عدد سكانها | المساحة مقدرة بالأميال المربعة | الدولة التى تمتلكها | تاريخ التسوية النهائية أو الامتلاك |
|---|---|---|---|---|
| ساحل العاج | ١,٢١٦,٠٠ | ١٢٠,٠٠٠ | فرنسا | اتفاق ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ |
| ساحل الذهب | ٨٥٧,٠٠٠ | ٤٠,٠٠٠ | بريطانيا | اتفاق ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ |
| توجولاند | ١,٠٠٠,٠٠٠ | ٣٣,٠٠٠ | ألمانيا | اتفاق أول يولية ١٨٩٠ بين بريطانيا وألمانيا |
| بورتونوفو | ؟ | ؟ | فرنسا | تسوية ٣ أكتوبر ١٨٩٠ بين فرنسا وداهومى |
| لاجوس | ؟ | ؟ | بريطانيا | تسوية ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩<br>إعلان الحماية فى ٥ يونية ١٨٨٥ |
| نيجيريا | ؟ | غير محددة | بريطانيا | اتفاق ٥ أغسطس ١٨٩٠ بين فرنسا وبريطانيا<br>وأول يولية من السنة نفسها بين ألمانيا وبريطانيا<br>إعلان الحمايه فى ١٥ أكتوبر ١٨٨٤ |
| الكمرون | ٣,٥٠٠,٠٠٠ | ٢٩٥,٠٠٠ | ألمانيا | تسوية إبريل ـ يونية ١٨٨٥ بين ألمانيا وبريطانيا<br>بروتوكول ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ بين ألمانيا وفرنسا<br>بروتوكول ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ بين ألمانيا وفرنسا |
| الكنغو الفرنسية | ؟ | ؟ | فرنسا | اتفاق ١٢ مايو ١٨٨٦ بين البرتغال وفرنسا |
| دولة الكنغو الحرة | ١٥,٠٠٠,٠٠٠ | ٨٠٢,٠٠٠ | بلجيكا | معاهدات اعتراف ١٨٨٤/ ١٨٨٥ |
| المجموع الكل بالتقريب | ٧٤,٧٠٠,٠٠٠ | ٥,٩٩٦,٠٠٠ | | |

| المنطقة الممتلكة | عدد سكانها | المساحة مقدرة بالأميال المربعة | الدولة التى تمتلكها | تاريخ التسوية النهائية أو الامتلاك |
|---|---|---|---|---|
| أنجولا | ٥,٠٠٠,٠٠٠ | ٤٨٠,٠٠٠ | البرتغال | اتفاق ١٢ مايو ١٨٨٦ بين فرنسا والبرتغال التصريح البرتغالى الألمانى فى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٦ |
| جنوب غرب إفريقيا الألمانيه | ١٢٠,٠٠٠ | ٣٢٢,٠٠٠ | ألمانيا | تصريح بالحماية ١٠ أغسطس ١٨٨٤ اتفاق ٣٠ ديسمبر ١٨٨٦ بين المانيا والبرتغال |
| المجموع بالتقريب | ٣٣,٠٠٠,٠٠٠ | ٢,٥٠٠,٠٠٠ | | |
| الجنوب | | | | |
| مستعمره الرأس | ٢,٤٦٠,٠٠٠ | ٢٢٠,٠٠٠ | بريطانيا | بريطانيا قبل سنة ١٨٨٠ |
| ناتال | ٢,٤٩٠,٠٠٠ | ٣٥,٠٠٠ | بريطانيا | اتحاد مع بريطانيا |
| باسوتولاند | ٣٥٠,٠٠٠ | ١٠,٠٠٠ | بريطانيا | اتحاد مع بريطانيا |
| بتسوانالاند البريطانية | ٩٩,٠٠٠٠ | ٥١,٠٠٠ | بريطانيا | أمر مجلس وإعلان ٢٩و٣٠ سبتمبر ١٨٨٥ |
| شركة جنوب إفريقيا البريطانية | ؟ | ؟ | بريطانيا | ميثاق مع الشركة فى أكتوبر ١٨٨٩ |
| المجموع بالتقريب | ٤,٠٠٠,٠٠٠ | ٥٠٠,٠٠٠ | | |
| الساحل الشرقى | | | | |
| إفريقيا الشرقية البرتغالية | ٣,٢٠٠,٠٠٠ | ٣٠٠,٠٠٠ | البرتغال | التصريح البرتغالى الألمانى فى سنة ١٨٨٦ |



| المنطقة الممتلكة | عدد سكانها | المساحة مقدرة بالاميال المربعه | الدولة التى تمتلكها | تاريخ التسوية النهائية أو الامتلاك |
|---|---|---|---|---|
| مدغشقر..إلخ | ٣,١٥٣,٠٠٠ | ٢٢٦,٠٠٠ | فرنسا | التصريح الفرنسى البريطانى فى ٥ أغسطس ١٨٩٠ والفرنسى الألمانى فى أول يوليه سنه ١٨٩٠ |
| إفريقيا الشرقية الالمانية | ٧,٦٤٥,٠٠٠ | ٣٨٤,٠٠٠ | ألمانيا | إعلان الحماية فى ٦ مارس ١٨٨٥ والتصريح الألمانى البرتغالى فى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٦ الاتفاق الألمانى البريطانى فى أول يولية ١٨٩٠ |
| إفريقيا الشرقية البريطانية | ٤,٠٠٠,٠٠٠ | ٢٤٦,٠٠٠ | بريطانيا | ميثاق مع الشركة البريطانية لشرق إفريقيا فى ١٨٨٨ الاتفاق البريطانى الألمانى فى سنة ١٨٩٠ |
| الصومال الإيطالى | ٣٠٠,٠٠٠ | ١٣١,٠٠٠ | إيطاليا | إعلان الحماية فى سنة ١٨٨٩ إعلان الحماية فى سنة ١٨٨٤ |
| الصومال البريطانى | ٣٠٠,٠٠٠ | ٦٨,٠٠٠ | بريطانيا | مذكرات متبادلة بين فرنسا وبريطانيا فى ٢و٩ فبراير سنة ١٨٨٨ وأمر مجلس سنة ١٨٨٩ |
| الصومال الفرنسى | ٢٠٠,٠٠٠ | ٤٦,٠٠٠ | فرنسا | مذكرات متبادلة بين فرنسا وبريطانيا فى سنة ١٨٨٨ |
| إريتريا | ٢٨٠,٠٠٠ | ٦٠,٠٠٠ | إيطاليا | محالفات مع السلاطين المحليين فى سنة ١٨٨٨ |
| المجموع بالتقريب | ١٩,٠٠٠,٠٠٠ | ١,٤٥٠,٠٠٠ | | |
| المجموع الكلى بالتقريب | ٧٤,٧٠٠,٠٠٠ | ٥,٩٩٦,٠٠٠ | | |